بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب الثالث

إعـــداد القــوى ورباط الخيــل

فى النصف الأول من القرن العشرين

الفصل الأول

إعداد القوى الاستعمارية للدخول إلى قلب العالم العربى

بدأ التواجد العسكرى البريطانى شرق السويس فى الهند منذ عام ١٦٦٠ ، وفى منطقة الخليج عام ١٨٥٦ ، فعندما تعرّضت التجارة البريطانية للتهديد البحرى من المنافسين لإنجلترا فى التجارة إلى الشرق ، مع تهديد برى داخلى من حكام الأقاليم وشعوب البلدان التى انشأت فيها بريطانيا مراكزها التجارية استدعى الأمر تأمين القوافل التجارية البريطانية وحماية مراكز التجارة والخطوط البحرية فى المجارى المائية خاصة البحر الأحمر والمحيط الهندى والخليج الفارسى تحت شعار تأييد وحماية محلية لحكام الأقاليم الذين لايستطيعون تحقيق حماية دويلاتهم . ثم تطورت الحماية والتأمين إلى وضع قواعد خاصة بها وخطط تأمين متكاملة بمعرفة بريطانيا ، ثم وضعت قوانين واصدرت أوامر لتنظيم العملية . وهكذا دخل الاستعمار إلى تلك المناطق وبدأ فى تصدير الحضارة الأوروبية الغربية ومستلزماتها من تقاليد وعادات ولغة ودين . . ومن ثم أخذت بريطانيا على عاتقها المسئولية الكاملة للدفاع الخارجى External defence والأمن الداخلى internal security وبالطبع كانت امارات المنطقة ودولها لا تملك ولم تحاول إعداد القوى لحماية ذاتها !!

وجذبت السياسة الاستعمارية الانجليزية أعداد جددًا للإمبراطورية البريطانية ، كما شكّلت مشاكل أمن جديدة . ففى عام ١٨٨٢ وجهت حملة إلى مصر واحتلتها لمدة ٧٤ عاما ، وفى عام ١٨٨٤ دفعت قواتها إلى دخول السودان ، وقامت بحملة تأديبية ضد الحبشة فى عامى ١٨٦٧ ، ١٨٦٨ واشتركت فيما بعد عام ١٨٩٠ حتى عام ١٩٠٤ فى عمليات بالصومال . .

وبعد هذا التوسع الكبير وجدت بريطانيا نفسها فيما يسمى « بورطة استراتيجية » حاولت التخلّص منها فيما بعد فى السبعينيات عندما وجدت نفسها عاجزة عن تحقيق القوة

والتأثير الكامل والسيطرة التامة على كل القواعد البريطانية المنتشرة شرق السويس وغربها وبدأت تعتمد على الأسطول الأمريكى المتواجد فى المحيط الهادى لمواجهة جزء كبير من الأسطول الياباني واحتوائه . .

وهكذا واجهت بريطانيا الأعداء فى المحيطات الثلاثة حتى عام ١٩٣٠ وما بعده . .

وعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس ١٩١٤ وشملت كل أنحاء العالم واستمرت حتى عام ١٩١٨ أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ وكانت الحرب العالمية الأولى سببا فى ظهور الوطن القومى اليهودى إلى حيِّز الوجود .

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ سجل التاريخ أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد مارست دوراً نشيطًا وفعالاً للتخطيط لدور أكبر كى ترث النفوذ البريطانى والفرنسى معا فشمل اهتمامها آنذاك منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص ، أى قلب العالم النابض بموقعه الاستراتيجى المتميِّز فى النزاع بين الكتلتين .

ولأهميتها الاستراتيجية الفائقة للدفاع عن غرب أوروبا ولاحتوائها على موارد نفطية هائلة تجمعت حول شاطئ الخليج الفارسى (العربى) والتى تحتوى على ٦٠ ٪ من احتياطى البترول العالمى الثابت وجوده فيها والذى يستخدم فى تزييت وإمداد آلات الإنعاش الاقتصادى فى الولايات المتحدة وأوروبا واليابان ، ولعل هذا يفسر لنا السبب فى اهتمام الغرب بربط دول هذه المنطقة الحيوية فى حلف دفاعى ونظام أمنى ضد الخطر السوفييتى .

وقد وطد الاستعمار البريطانى أقدامه فى الوطن العربى منذ الاحتلال الأول ونفذ استراتيجيته القائمة على تفكيك الجسور العربية وإيجاد منازعات دائمة بين الدول وبعضها البعض . وهكذا تفاقمت المنازعات القبلية بين إمارات الخليج العربى خاصة فى ترسيم الحدود حسب الخرائط التى وضعها الاستعمار البريطانى بدهاء وخبث لتستمر المنازعات على أرض هنا وجزيرة صغيرة هناك ربما يكون تحتها كنز بترولى يغرق صاحبه بالمال الوفير . . ونجحت هذه الاستراتيجية فى إثارة التنافس بين حكام الأقاليم والإمارات خاصة فى الستينيات عندما يظهر البترول هنا ولا يظهر هناك ، واصبح من الواضح أن هذه الإمارات الصغيرة التى ظهر فيها البترول لا ولن تستطيع أن تقاوم أى تدخل لقوة خارجية وأراد حكامها حمايتها وإثبات حقهم فى ملكيتها بقوات لايملكونها ولايستطيعون إعدادها ، وإن كانوا يستطيعون استئجارها من الخارج بالثمن !! وكانت بريطانيا فى ذلك الوقت هى صاحبة

القوة والسيطرة والنفوذ . وهكذا اعتمدت الإمارات العربية على بريطانيا فى توفير الحماية وتقديم المشورة التى استمرت حوالى ١٤٠ عاما وارتبطت معها بمعاهدات للدفاع والحماية . . . .

وقد أعاد التاريخ نفسه فى النصف الثانى من القرن العشرين واستمرت استراتيجية الاستعمار كما هى مع تغيّر الوجوه إلى من يمتلك القوة الأكبر والذى يمكنه تأجيرها بالثمن وهو السيطرة التامة الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية مع تأمين مصالحه أولا خاصة بالسيطرة على آبار البترول المنتجة والتى يؤكد التطور التكنولوجى أنها مخزونة انتظاراً لمن يفجرها . .

الفصل الثانى

إعداد القوى الصهيونية لإقامة دولة إسرائيل

الهاجاناه تصبح أكثر عدداً من جيوش العرب :

بلغ حجم المؤسسات العسكرية الصهيونية عام ١٩٣٩ نحواً من ٢٥ ألف مقاتل فزاد عددها على عدد أفراد جيش مصر بنحو مرة ونصف ، وتعادل مع كل جيوش دول الطوق العربى عدداً ، وإن تفوّق عليها نوعًا فى التسليح والتدريب والمهارة الميدانية .

وفى ٨ سبتمبر ١٩٣٩ ، أى قبل أن يمضى أسبوع واحد على اشتعال الحرب العالمية الثانية حدَّد بن جوريون لقادة الهاجاناه هدفهم العاجل قائلا . . . « لقد تمخضت الحرب العالمية الأولى عن « وعد بالفور » ، أما الحرب العالمية الثانية فستأتى « بدولة إسرائيل » .

وإذا كانت القوى السياسية هى التى قامت بالدور الرئيسى فى إقامة الدولة الصهيونية فى فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى وفى أعقابها ، فإن القوى العسكرية الصهيونية - بعد أن بلغ المخطط الصهيونى مرحلته الحاسمة - أصبحت الأداة الفعالة لفرض الوجود الصهيونى بفلسطين فى شكل الدولة اليهودية .

وكما استغلت المؤسسة الصهيونية الحرب العالمية الأولى لتجنيد وحدات صهيونية خالصة بهدف اكتساب الخبرة وكفاءة القتال ، فقد ركزت على استغلال الثانية فى تجنيد المزيد من الجنود الصهاينة ، ولهذا أعلن المؤتمر الصهيونى الحادى والعشرون المنعقد فى جنيف فى أغسطس ١٩٣٩ أن الوكالة اليهودية - رغم اختلافها مع حكومة الانتداب - سوف تقدِّم جميع القوى البشرية اليهودية وكفاءاتها الفنية للمشاركة مع الحلفاء فى الصراع الدائر .

ورغم رفض الحكومة البريطانية لهذا العرض السخى فإن الوكالة اليهودية استمرت فى بذل مساعيها ، فأنشأت مكتبًا لتسجيل المتطوعين اليهود وحثت شبابها فى فلسطين إلى التطوُّع « حتى يكونوا تحت طلب القيادة العسكرية البريطانية » .

وفى ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ وافقت الحكومة البريطانية أخيرًا على إنشاء قوة مقاتلة يهودية من عشرة آلاف رجل على أن يجنَّد منهم فى فلسطين ثلاثة أو أربعة آلاف . ولما نكصت حكومة بريطانيا عن المضى فى هذا المشروع تحولت الوكالة اليهودية إلى الولايات المتحدة تطلب منها إنشاء تلك القوة اليهودية .

التحول نحو الولايات المتحدة :

وعكف بن جوريون على وضع مخطط الاعتماد على الولايات المتحدة الذى تبلور فيما يسمى ببرنامج بالتيمور عام ١٩٤٢حيث ركزّ على الإعداد لإقامة دولة إسرائيل بتعبئة القوى اليهودية العالمية لتحويل فلسطين إلى كومنولث يهودى .

وبعد أشهر قليلة وافقت حكومة بريطانيا بضغط من البيت الأبيض على إنشاء كتائب مشاه يهودية - وعربية - للخدمة بالشرق الأوسط ، مع التوسع فى إنشاء قوة الشرطة اليهودية - « النوتريم » - والتى كانت تمثِّل الجيش الشرعى اليهودى بفلسطين ، وتجنيد ٢٥ ألف شاب يهودى على أن يقدم لهم قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط الضباط اللازمين لتدريبهم ، والأسلحة الكافية لتسليحهم ، والمعدات الحديثة لتصبح وحداتهم قادرة على خوض المعارك .

إنشاء اللواء اليهودى :

ثم أنشأت بريطانيا اللواء اليهودى يوم ١٩ سبتمبر ١٩٤٤ للاشتراك فى الحرب ، وقامت بتنظيمه وتسليحه وتدريبه بمنطقة برج العرب قبل أن تزج به فى القتال بمسرح إيطاليا ضمن قوات الجيش الثامن البريطانى . وكان الفضل فى إنشاء هذا اللواء يعود إلى ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى ذى الميول الصهيونية المنحازة .

وكانت قيادة الهاجاناه ، قد قررت في مايو ١٩٤٠ إنشاء قوة ضاربة نظامية أطلقت عليها اسم « البالماخ » استعانت بها بريطانيا ضد حكومة فيشى الفرنسية فى سوريا ولبنان .

شتيرن السيئة السمعة :

كما حدث قبل ذلك بعام أن انشقت عن الأرجون عصابة إرهابية أطلقت على نفسها اسم « المحاربون لحرية إسرائيل » ، وإن اشتهرت باسم « عصابة شتيرن » نسبة إلى زعيمها

أبراهام شتيرن ، وركّزت أعمالها فى الاغتيال والتخريب وسرقة الأسلحة والمعدات من المخازن البريطانية .

وبمجرد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وزّع الزعماء الصهاينة جهودهم لإقامة الدولة بين العمل السياسى فى الخارج والعمل العسكرى بفلسطين . فتقدم حاييم وايزمان بطلبه إلى الحكومة البريطانية ليجعل فلسطين دولة لليهود ، بينما طالب بن جوريون الولايات المتحدة بالسلاح ومصانع الأسلحة والمتطوعين اليهود للقتال ضد عرب فلسطين .

وعندما انعقد أول مؤتمر صهيونى بعد الحرب بلندن فى أغسطس ١٩٤٥ صدّق على برنامج بالتيمور ، وطالب بهجرة مائة ألف يهودى إلى فلسطين . وقد أوصى الرئيس الأمريكى هارى ترومان حكومة بريطانيا بتنفيذ ذلك الطلب على أن يكونوا من ضحايا النازية .

إنشاء وزارة للدفاع :

وفى المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرين بمدينة بال فى ديسمبر ١٩٤٦ فرض بن جوريون رأيه بضرورة الاتفاق على أن الحرب هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق الدولة الصهيونية ، ووافق المؤتمر على إنشاء وزارة للدفاع يتولاها بن جوريون ليقوم بتوحيد كافة المؤسسات العسكرية فى جيش نظامى موحّد .

ولما وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ على قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود تحقق للصهيونية خلال جيل واحد تحويل فلسطين من دولة عربية خالصة إلى دولة يهودية تملك جيشًا ميدانيًا قوامه عشرون ألف فرد ، وجيشًا دفاعيًا حوالى ١٧ ألفًا ، وقوة ضاربة من البالماخ قوامها نحو ٢٥٠٠ مقاتل ، وشرطة يهودية مسلحة من ستة آلاف ، ولواء يهوديًا من خمسة آلاف مقاتل سبقت لهم خبرة القتال فى جنوب وغرب أوروبا قبيل نهاية الحرب ، وعادوا إلى فلسطين بأغلب أسلحتهم .

إعادة التنظيم والتسليح :

وركّزت وزارة الدفاع بقيادة بن جوريون على إعادة تنظيم القيادات الميدانية والوحدات العسكرية بنهاية ١٩٤٧ ، فقامت بإنشاء أربع قيادات إقليمية ، ووضعت خطة لتحويل جيش الميدان إلى وحدات خفيفة الحركة ، كما أمكن تشكيل نواة لسلاح الطيران من اليهود الذين اشتركوا فى القوات الجوية للحلفاء فى الحرب .

وحظى التدريب على القتال باهتمام بالغ ، كما ركّزت القيادات على بث العقائد الصهيونية وبذل إسحق دابنو أول قائد للجيش الصهيونى اهتمامه بتعليم وتدريب الضباط الأصاغر باعتبارهم ذوى الصلة المباشرة بالجنود . وحتى اليوم فلا تزال دورة قادة الفصائل هى أساس تربية القادة فى جيش إسرائيل .

وفى مطلع شهر ديسمبر ١٩٤٧ بدأ الجيش الإسرائيلى محاولاته لابتلاع كل فلسطين طبقا « للخطة دال » التى عملت على احتلال كل المراكز الحيوية سواء فى المناطق الريفية أو الحضرية ، داخل حدود قرار التقسيم أو خارجه .

إعلان التعبئة العامة :

ثم اتخذ المجلس الصهيونى العام فى ١٦ إبريل ١٩٤٨ قرار إعلان التعبئة العامة ، وتنظيم السيطرة على البلاد . وقد تضمّن ذلك القرار ما يلى :

١ - استدعاء كل الرجال لحمل السلاح .

٢ - استغلال كافة وسائل النقل في البر والبحر الجو لتوفير الإمداد بالسلاح والذخائر من الخارج ، وتدفق الهجرة اليهودية على فلسطين .

٣ - السيطرة على توزيع المواد الغذائية والمواد الخام بما يؤمن للقوة العسكرية حاجتها كأسبقية أولى ، وأن يتابع الاقتصاد الإسرائيلى أنشطته تحت ظروف الحرب .

٤ - ألاّ يقف جيش إسرائيل عند تكتيك الدفاع ، بل يقوم بالهجوم على كل الجبهات ، ليس فقط داخل حدود فلسطين ، بل حيثما يوجد عدو .

وهكذا ، ومع مطلع شهر إبريل ١٩٤٨ كان جيش إسرائيل قد أتم الاستعداد لابتلاع كل ما يمكن ابتلاعه من الأرض ، وتفريغ كل ما يمكن تفريغه من سكانها العرب حتى تصبح إسرائيل دولة عرقيَّة نقية لايسكنها إلاّ الصهاينة .

الزحف فى كل الاتجاهات :

وحتى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، يوم تدخلت الجيوش العربية لتدارك الموقف المتدهور بفلسطين ، كان جيش إسرائيل قد أتم الاستيلاء على طبرية وحيفا وصفد ويافا وأحياء مهمة من القدس ، كما حاصر عكا واستولى على الجليل الغربى والشرقى رغم أنه يدخل

ضمن حدود الدولة العربية طبقًا لقرار التقسيم . كما تولت عصابتا الأرجون والشتيرن أعمال الإرهاب لإجبار العرب العزّل على النزوح عن مدنهم وقراهم ، فتوالت مذابح دير يس وناصر الدين والقبو وبيت داراس وبيت الخورى والزيتونة ، وتجاوز عدد القرى التى تعرضت للنسف والتدمير المائة قرية عربية .

قيام دولة إسرائيل :

وكان بن جوريون قد أعلن عصر اليوم السابق من دار المتحف بتل أبيب عن قيام الدولة اليهودية فى أرض إسرائيل تحمل إسم « دولة إسرائيل » . وعلى الأثر بدأت الحرب بين تلك الدولة والدول العربية المجاورة ، التى تكرّرت خمس مرات فى عام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ و ١٩٨٢ .

التفوق الكمى والنوعى :

وكان حجم الجيش الذى خاضت به إسرائيل أولى حروبها عام ١٩٤٨ قد بلغ ٦٧ ألف مقاتل يضمهم عشرة لواءات من الهاجاناه وثلاثة من البالماخ ، إلى جانب نواة من السلاح البحرى وأخرى من السلاح الجوى . وحقّق هذا الحجم الإسرائيلى تفوقًا عدديًا على جميع الجيوش العربية التى حاربت فى الجولة الأولى بلغ مقداره ٢,٥ : ١ لصالح إسرائيل ، وبفضل تفوقه النوعى كانت النسبة فى الواقع تزيد عن ذلك بكثير .

ويعنى ما سبق أن ما أعده الصهاينة من قوة لاغتصاب فلسطين كان يتفوق على ما أعده العرب للحفاظ على عروبتها أضعافًا مضاعفة ، ورغم تلك الحقيقة فقد ظلت إسرائيل تشكو ضعفها وقلة حيلتها فى مواجهة العملاق العربى الذى اعتزم أن يأخذ بخناقها فأذاعت على الملأ مقولة أن طالوت - العرب - يعتزم البطش بداود - إسرائيل - لتستدر عطف غالبية الشعوب بينما كانت موغلة فى البطش بالعرب ، والجموح بحدود قرار التقسيم شمالاً وشرقًا وجنوبًا ، حتى لم يسلم من عدوانها أحد من دول الطوق العربى .

وخلاصة القول إن إسرائيل قامت بالقوة الجبرية التى كان إعدادها هو شغلها الشاغل طيلة ثلث القرن الذى سبق قيام الدولة ، وأنها ستظل تعتمد على تلك القوّة فى فرض وجودها الغريب والمرفوض فى قلب الوطن العربى ، معتمدة فى ذلك على الشعار الذى أطلقته فى مبدأ مسيرة اغتصاب فلسطين والذى يقول . . . « إذا ما وقع السيف من يد إسرائيل فسوف تموت » .

الفصل الثالث

إعداد القوى العربية للمعركة المنتظرة

- فى نوفمبر عام ١٩٤٧ بعد إعلان مشروع التقسيم الصادر من الأمم المتحدة أعلن الحاج أمين الحسينى مفتى القدس الحرب المقدسة ضد يهود فلسطين ، وتم تشكيل جيش غير نظامى سمى بجيش الجهاد المقدس من المتطوعين ، وعين عبدالقادر الحسينى قائداً له . .

وفى الجانب العربى الآخر تم تكوين قيادة جيش التحرير العربى فى دمشق بقيادة فوزى القاوقجى (الضابط السورى الذى كان يعمل فى الجيش التركى اثناء الحرب العالمية الأولى . .) وكان من المقرر أن تتألف قوات جيش التحرير من متطوعين من البلدان العربية ، ومن سكان فلسطين العرب . .

- وكان وجود هذين الجيشين العربيين عاملاً قويا للإنشقاق بين العرب وبين الفلسطنيين أنفسهم ، وهذا بالطبع اضعف من تنسيق الجهد العربى ضد الصهيونيين المنظمين المتحدين !! وكان الاتفاق الوحيد بين الجيشين العربيين هوتقسيم عام لمناطق المسئولية بينهما فجيش التحرير العربى فى الشمال تحت قيادة القاوقجى وقواته حوالى ٧٧٠٠ رجل ، وجيش الجهاد المقدس في الجنوب وقوامه فرقتان فدائيتان اساس كل منهما ١٠٠٠ متطوع فى الجليل والقدس .

- وتطوع مع جيش التحريرالعربى عدد من جماعة الأخوان المسلمين من مصر للقتال ضد اليهود فى فلسطين ، وقد سمحت الحكومة المصرية والملك فاروق بالطبع باشتراكهم فى هذا الجهاد التى يعتبر معاديًا أيضًا لاتجاه الملك عبدالله سرًا !! حيث قيل إن عبدالله له أطماع ضد المفتى لتوحيد فلسطين مع شرق الأردن فى مملكة أردنية جديدة .

وكانت موافقة فاروق أيضًا لسبب آخر وهو دفع هؤلاء المجاهدين المسلمين خارج مصر

لتوفير الأمن والأمان له ولأسرته ولمن تبعه داخل مصر ،وعينت الحكومة المصرية العقيد أحمد عبد العزيز من سلاح الفرسان المصرى ليقود هؤلاء المتطوعين مع من تطوع من العرب للقتال الفدائى والجهاد ضد يهود فلسطين .

(٢٠٠٠ متطوع مصرى وسودانى وليبى مع بعض عناصر من الجيش المصرى ومدافع ماكينة وهاون) .

- وفى ٢٥ إبريل١٩٤٨ وافقت الجامعة العربية على أن تتدخل دولها الأعضاء فى القتال فى فلسطين بمجرد انسحاب القوات البريطانية منها ، وأن تحول بقوة السلاح دون تقسيم فلسطين الذى قررته الأمم المتحدة ، وأن تكفل السيادة العربية على الدولة الفلسطينية الجديدة فى فلسطين . وقد اعتبر الملك عبدالله ملك شرق الأردن هو القائد العام للجيوش العربية وهى جيوش سوريا ولبنان والأردن ومصر والعراق والسعودية والسودان (عناصر سودانية فقط) بالإضافة إلى قيادته للفيلق العربى الأردنى والخاضع للقيادة البريطانية ، بالإضافة إلى قيادته أيضًا لجيش التحرير العربى .. وجيش الخلاص . .

الجيش العربى السورى :

أصبحت سوريا مستقلة عن الحكم الاستعمارى الفرنسى منذ أبريل ١٩٤٦ ، وطوال فترة الانتداب الفرنسى كان عدد صغير من الوحدات السورية قد جرى تكوينه كعناصر من الجيش الاستعمارى الفرنسى، ثم أصبحت تلك القوات هى نواة الجيش السورى الجديد .

وعندما استعدت سوريا لإرسال قواتها إلى فلسطين فى مايو ١٩٤٨ لم يكن لضباطها أو جنودها أى خبرات ميدانية ، كما لم يكن عددهم يتجاوز ٨٠٠٠ فرد يشلكون :

٢ لواء مشاه

١ كتيبة ميكانيكية (تشمل سرية من الدبابات الفرنسية الخفيفة)

قوة جوية حوالى ٥٠ طائرة متنوعة (لم يكن يصلح منها للقتال إلا ١٠ طائرات فقط) قاذفات ومقاتلات .

الجيش اللبنانى :

لـم يكن فى لبنـان مايمكن تسـميته بجـيش بل جندرمة مـن حوالى ٣٥٠٠ فرد فى ٥ كتائب مشاه ، وعناصر صغيرة من الدبابات والعربات المدرعة والفرسان .

الجيش العراقى :

حصل العراق على استقلاله عن الانتداب البريطانى فى ٣ أكتوبر ١٩٣٢ ورغم هذا فقد كان الجيش الـعراقى قليل الخبرة والـتجارب ، وكان عدد هذا الجيـش فى أوائل عام ١٩٤٨ حـــوالى ٢١ ألف فرد مـن المشاه والمدرعات والمدفـعية ، وكان لديهـم حوالى ١٠٠ طائرة متنوعة . . وكان مقرر إرسال قوة إلى مسرح فلسطين قوامها ٥٠٠٠ رجل تتضمن ٤ لواءات مشاه ، وكتيبة مدرعة ، وقوات مساعدة .

وقد واجهت هذه القوة الـتى - خاضت معارك قليلة - صعوبـات جمّة فى الإمداد نظرًا لطول خطوط مواصـلاتها عبر الصحراء من نهر الفـرات إلى الأردن . . وقد تجمّعت غرب أربد بالأردن .

الجيش المصرى :

كان الجيـش المصرى حتى أوائل عام ١٩٤٧ ملحقًا صغيرًا لجيش الاستعـمار البريطانى فى مصر ، ولم تكـن هناك فرصة للضباط المصريـين لاكتساب خبرة قيادية ميـدانية تتجاوز مستوى الـسرية أوالكتيبـة عدا قوات الدفاع الجوى المصرى وهـى المدفعية المضادة لـلطائرات وبطاريـات الأنوار الكاشـفة فقد اشـتركت فى الحرب فـى حماية المـوانى المصريـة وخطوط المواصلات البريطانية بكفاءة .

وكانت أسلحة الجيش المـصرى أسلحة بريطانية قديمة ، وكانت وحـدات الجيش مبعثرة فى حاميات فى الدلتا وجنوب الوادى وفى مرسى مطروح بالصحراء الغربية .

وللأسف الـشديد عنـدما قرر الملك فـاروق زج الجيش المصرى فـى حرب فلسـطين لم تستطع الحـكومة المصرية تخصيص حـملة مناسبة للقـتال فصار استئجار عربات مـن متعهد فلسطينى اسمه « باميه » . وتشكلّت القـوة المصرية فى لواء مشاه واحد ومعه بعض الدبابات الخفيفة ، وكانت مصر تمتلك بعض الطائـرات المقاتلة مع عناصر بحرية محدودة ، واتخذت هذه القوات العريش قاعدة أمامية لها . .

القوات العربية المشتركة فى المواجهة يوم ١٥ مايو ١٩٤٨

- العرب	٤٢٠٠٠
- جيش التحرير العربى	٥٥٠٠
- جيش الخلاص	٥٠٠٠
- لبنان	٢٠٠٠
- سوريا	٥٠٠٠
- الأردن	٧٥٠٠
- مصر	٧٠٠٠
- العراق	١٠٠٠٠

وكانت القوات الإسرائيلية المواجهة لها حوالى ٦٧٠٠٠ مقاتل طبقا لتقدير مخابرات سلطة الانتداب البريطانية على فلسطين .

إعداد القوى المصرية

قامت فى مصر الثورة العرابية ضد التدخل الأجنبى حتى تحقق للبلاد الحرية والعدل والمساواة للجميع ، ولكنها فشلت لهبوط الروح المعنوية بين الضباط المصريين أساسا وحدوث حالات تمرد وتذمر بين أفراد الجيش المصرى ولم تكن الثورة شعبية منظمة بالمعنى المفهوم ولم يشترك الشعب معها فى القتال اشتراكا فعليا . . ودخلت القوات البريطانية القاهرة يوم ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ ليبدأ الاحتلال البريطانى لمصر واختير أحمد فؤاد سلطانا على مصر فى ٩ اكتوبر ١٩١٧ . قامت ثورة مصر عام ١٩١٩ نتيجة لما تحمله المصريون أثناء الحرب العالمية الأولى من صنوف شتى من المتاعب وهلك من المصريين مئات الآلاف وهم يعملون فى تمهيد الطرق ووضع قضبان السكة الحديد وفى الأعمال العسكريه المختلفه لخدمة بريطانيا ليس فى مصر وحدها ولكن أيضًا فى الشام والعراق وفلسطين . .

وتولى الملك فاروق سلطته الدستورية فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧ بعد وفاة والده الملك فؤاد فى ٢٨ ابريل ١٩٣٦ ، حيث اعتلى عرش مصر فى نفس يوم وفاة والده . . . وبالطبع لم يكن هدفه هو إعداد القوى لتأمين مصر ، بل كان هدفه الرئيسي هو حماية عرشه وأملاكه

ومصالحه فاختار قادة ومعاونين وتابعين لسلطته وسلطانه وجبروته ونزواته ، ولم يهتم بإعداد الجيش المصرى اهتمامه بتأمين ملكه ، ولم يُحسن إعداد القوى أو رباط الخيل فلما حان وقت الجهاد زج بالجيش المصرى فى أتون حرب غير قادر على خوضها وزوده بأسلحة فاسدة ليقضى على خيرة قادة مصر ورجالها معنويا بالدرجة الأولى ، وارتوت أرض فلسطين بدماء مئات من شباب مصر الشهداء .

ورغم هذه الفترة وما فيها من إضعاف للقوى وليس إعدادها ، إلا أن هناك حقيقة واضحة تحتم الأمانة ذكرها بعناية ووضوح فقد كان بعض القادة العظام فى الجيش المصرى يعملون لإعداد القوى بإقامة قواعد ثابتة فى إعداد القادة الأصاغر وإعداد الجندى المصرى إعدادا تلقائيا ومن أمثلة ذلك :

فى عام ١٩٤٢ والحرب دائرة فى الصحراء الغربية وعلى مشارف الإسكندرية كان لابد من صقل القوى الوطنية والانضباط وتعليم أدب الحرب وأسلوب الإدارة والقيادة السليمة ومحاولات لحل مشاكل الجنود وتقليل المسافة بين الضابط الصغير وجنوده . .

فقد كان على الضابط الصغير أن ينتظم فى صفوف التعليم والتدريب بمجرد وصوله الوحدة ولمدة ستة أشهر مع زملائه من الجنود الجدد ليعيشوا معا عيشة ميدانية واحدة خاصة فى الطعام . كما أن قائد الوحدة كان يصل إلى الوحدة مبكرا قبل اصطفاف الجند والضباط بفترة كبيرة ويمر على الجميع خاصة طهارة الرجال ونظافتهم الظاهرية والداخلية وكل من يجده غير معتنٍ بجسمه وملابسه يجلد ٥ جلدات فورًا ، وكل من يجده نظيفًا يأخذ هدية أو أجازة فورًا !! وبالطبع كانت الطهارة هى سعى الرجال إلى نيل الإجازة ، وكان كل ضابط فصيلة مكلّف بعمل دفتر لاستحمام الجنود ويشرف على نظافتهم شخصيا . . أما طعام الجنود فكان موضع اهتمام رئيسى من القائد من مطبخ الجنود إلى نظافة أدواته وحسن طهى الطعام وحسن توزيعه ومعدلات اللحوم حتى ينال كل فرد حقه بالعدل . . أما الحملة فرغم أن العربات قديمة ومستهلكة إلا أنها كانت نظيفة صالحة للاستخدام ، مع الصيانة الكاملة والتنسيق اليومى المستمر على المياه والزيوت والوقود وإدارة الماكينات وكل ما يخص الصيانة . .

وهكذا كان القدوة تعلمنا منه الكثير من أسلوب القيادة وإدارة الرجال والانضباط ، أما حل مشاكل الوحدة فكانت تحل صباح كل خميس فى حفل إفطار بسيط فى الوحدة من طبق

واحد للجميع من العاشوراء (كان يدفع القائـد تكاليفها من حسابه الخاص !!) ويدعى إلى مائدة الوحدة القادة الأكـبر ومن بيدهم حل مشاكل الوحدة من رئـيس أركان الجيش المصرى إلى مسئول المـهمات مثلا وبعد تناول وجـبة العاشوراء تحل مشاكـل الوحدة . . هذه إحدى الدعائم المهمة التى شعرنا بها كدعامة من دعامـات إعداد القوى ؛ فحل مشاكل الرجال يقود إلى تأمين المعنويات فتصبح الأرض خصبة لازدهار باقى القيم والمثل والنظـم العسكرية مهما كانت قاسية . .

طوبى لهؤلاء الرجال العظماء فى تاريخ مصر العظيمة . .

الفصل الرابع

الجولة العربية الإسرائيلية الأولى
حرب فلسطين
(١ ديسمبر ١٩٤٧ - ١٣ مارس ١٩٤٩)

المقدمة :

لم تكن الدول العربية قد اعتنقت حتى جولتها الأولى مع إسرائيل عام ١٩٤٨ مذهبًا عسكريًا واضحًا، ولا كانت تملك أسلحة أو أساليب قتال حديثة تناسب شكل المعركة التى سوف تفرضها عليهم إسرائيل ومن يؤازرها ، بمجرد أن تبدأ تنفيذ مخطط استلاب فلسطين وتفريغ أرضها من أهلها العرب تحقيقًا للنقاء العرقى الصهيونى المنشود .

أما المذهب القتالى الذى صاغته جيوش صدر الإسلام وما تلاه من عصور الاردهار العربى ، التى تميزت بإعداد القوى ورباط الخيل فكان قد دخل مرحلة بيات حضارى طويل حتى سقطت الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ، فوقع أغلبها تحت الانتداب البريطانى أو الاحتلال الفرنسى أو الاستعمار الإيطالى التى حرصت كلها ألا تجعل لها قوة حربية ذات شأن .

ومع أن المذهب العسكرى الإسلامى لم يكن قد احتجبت صورته تمامًا عن الأذهان فإن مابقى من مفاهيمه لم يعد ينسجم مع ابتكارات الأسلحة الحديثة أو صنعة الحرب فى النصف الثانى من القرن العشرين .

وزاد الأمر سوءًا توقف مصانع السلاح العربى عن الإنتاج واعتماد جيوشهم على ماتستطيع أن تستورده من الخارج ، رغم ما كان يعيبه من تخلُّف وقصور . ومن الطبيعى أن يصحب تلك الأسلحة فرض مذهب القتال الذى تراه الدولة المصدِّره لها ، مما ترتب عليه أن صار الوطن العربى ساحة لمذاهب بريطانية وفرنسية وإيطالية ، فأختلط حابله بنابله ، وتعذَّر

تحقيق تـخطيط مشتـرك ، أو إدارة الصراعات المسلـحة وفق تعاون متبادل ، أو حـتى وفق تنسيق فعّال .

وعمد الحلـفاء بعد أن خرجوا مـنتصرين من الحرب الـعالمية الأولى إلى تمـزيق الشرق الأوسط إلى دويلات إقليـمية ضعيفة ، تولى ونستـون تشرشل وزير المستعمرات الـبريطانية رسم حدودها بما لايـوفر لها اكتفاءً ذاتيًا أو استـقرارًا سياسيًا ، ناهيك عن الـقدرة على صد عدوان خارجى أو إحباطه .

وفوق كل مـا سبق راحت الحزازات والـعصبيـات تتصارع داخليًا فيما بيـنها ، بيـنما الصهـيونية العـالمية تضع الـلمسات الأخيرة لـلمخطط الـضخم للانقـضاض على فلـسطين واغتصاب أرضها ، وطـرد أهلها ، وفرض خريطة جديدة وعلاقـات مختلفة فى المنطقة على مراحل زمنية مدروسة .

وعنـــدمـا صدر قرار تقسيم فـلسطين من الجمعـية العامة للأمم المـتحدة يوم ٢٩ نـوفمبر ١٩٤٧ ، كانت الوكالة اليـهودية تملك ٦٧ ألف مقاتـل طبقًا لتقرير المخابرات الـبريطانية ، بينما بلغ عدد الجيوش الخمسة التى دفعتهـا مصر وشرق والعراق وسوريا ولبنان للحفاظ على عروبة فلـسطين ١٤٩٢٦ مقـاتل ، بالإضافـــة إلى ٦٥٠٠ فرد مـن جيشى الجهـاد المقدس والإنقاذ ، بما يعنى أن التفوق العددى تجاوز نسبة ٢,٥ ٣ : ١ لصالح إسرائيل .

وكانت الصهيـونية العالمية قد كسبت تأيـيد أغلب حكومات العالم ومحـافله الدولية ، فضلاً عن تعاطف الرأى العام العالمى معها ، بينما لم تنجح السياسية ولا الدعاية العربية فى أن تُسمع صوتها أحدًا .

ونجحت الـوكالة اليهوديـة فى تزويد قواتهـا بالأسلحة والمـعدات من ترسانتـى الشرق والغرب اللتين أغلقتا مخازنهما فى وجه العرب ، مما أضطرهم إلى البحث عنها بين سماسرة وتجار السلاح الذين باعوهم ما عفى عليه الزمن أو تجاوزه العمر ، وبكميات شحيحة .

وعلى حـين كان جنود الصهـاينة محمـلين بخبرة الحـرب العالمية الثـانية فى مخـتلف مسارحهـا التى عادوا منها وشيكًا إلـى فلسطين ، لـم يكن أحد جـيوش العرب الخمـسة قد خاض حربًا نظامية على امتداد نصف القرن المنصرم .

وفى صباح ليلة قرار التسليم بدأت الأركان العـامة الإسرائيلية تنفيذ الخطة « دال » التى هدفت إلـــى الاستيلاء عـلى كل مايمكن أن تـستولى عليـه بالقوة قبل أن تـدركه جيوش

العرب ، لاسيما وأن قرار التقسيم قد غفل عن تعيين السلطة التى تفرضه على الطرفين وتضمن احترامه ، ويبدوا أنه كان إغفالاً متعمدًا !

وبينما كانت الصهيونية تعرف ما تريد ، وقد حددت الطريق إلى تحقيقه ، وأعدت له القوة التى تقدر عليه ، لم يكن العرب يدركون ما سوف يحدث ، ولا هم تهيأوا للتصدى له بأسلوب مدروس ، أو بجدول بدائل على المدى القريب أو البعيد ، أو بالقوَّة المسلحة التى تقدر عليه .

ومما يبعث على الدهشة أن أعلى أصوات الحكام العرب بضرورة التدخل بالقوات المسلحة كان أقلهم حشدًا لتلك القوة ، وأضعفهم استخدامًا لها فى الميدان ، ثم أسرعهم في النكوص عن القتال .

مراحل الحرب :

رغم أن جيوش العرب الخمسة التى دفعت إلى فلسطين للحفاظ على عروبتها كانت تعمل كلها لتحقيق هدف واحد ، إلاَّ أنه لم تجمعها خطة عمل مشترك ، أو مجرد التنسيق بين أنشطتها القتالية ، وحتى تبادل المعلومات بينها كان شبه مفقود ، الأمر الذى أتاح للأركان العامة الإسرائيلية أن تنفرد بكل جيش منها بمعزل عن الآخرين ، فتهزمهم الواحد تلو الآخر ، ثم تفرض عليهم دفع ثمن الهزيمة مجتمعين .

وكانت حرب فلسطين أطول الجولات العربية الإسرائيلية زمنا ، إذ تجاوزت مدَّة القتال فيها ١٦ شهرًا ، حفلت بالمناوشات والمعارك والعمليات الحربية بدءًا بمجرد الإغارة المحدودة الهدف القليلة الأثر الصغيرة الحجم التى لم يتجاوز هدفها تدمير مبنى أو قفل طريق أو نصب كمين ، إلى الصدام الواسع الذى يهدف إلى تحقيق ميزة تكتيكية أو مكسبًا تعبويًا أو استراتيجيا ضخمًا .

وقد انقسمت تلك الحرب إلى أربع مراحل متعاقبة ضمَّتها فترة الحرب غير المعلنه بين العصابات الصهيونية والمتطوعين العرب فيما بين أول ديسمبر ١٩٤٧ و ١٤ مايو ١٩٤٨ ، ثم فترة الحرب المعلنة بين الجيوش العربية وجيش إسرائيل فيما بين ١٥ مايو ١٩٤٨ و ١٣ مارس ١٩٤٩ ، وقد اشتملت جميعها على ٦٧ مناوشة ومعركة وعملية حربية بما يزيد على مجموع المعارك فيما تلاها من جولات أضعافًا مضاعفة.

ولم يكن يغيب عن الأركان العامة أنه رغم ممالأة سلطة الانتداب للجانب الصهيونى فإن دواعى حفظ ماء وجهها كان يستحق عدم إحراجها بالعمل النشيط قبل أن يحين موعد رحيلها عن فلسطين يوم ١٤ مايو ، ولهذا فقد قيدّت خطة العمل تطوعًا منها خلال فترة الحرب غير المعلنة فحصرته داخل إطار المناوشات فيما بين أول ديسمبر ١٩٤٧ وأخر مارس ١٩٤٨ كمرحلة أولى ، على أن يصير تضخيم حجم تلك المناوشات إلى مستوى المعارك المحدودة المدى والمجال فيما بين أول أبريل و ١٤ مايو ١٩٤٨ ، عندما تكون قبضة الانتداب قد تراخت عن فلسطين نتيجة جلاء أغلب جنود الاحتلال البريطانى عن البلاد .

وكان الاحتمال الأرجح ألاّ تتدّخل الدول العربية بجيوشها على نحو ما صرّحت به حكوماتهم التى رددّت القول بأنها سوف تكتفى بدعم المتطوعين بالسلاح والمال . إلاّ أن حكومة مصر فاجأت الجميع بالتحول عن هذا الرأى فى جلسة مجلس النواب مساء ١١مايو ١٩٤٨ ، عندما حصلت على موافقة المجلس على الزج بالجيش فى الحرب بعد أن أكدت له أن مهمة صيانة عروبة فلسطين تدخل فى نطاق إمكانيات الجيش سواء بالنسبة لكفاءته الميدانية أو وفرة سلاحه وذخائره ، بينما كان قادة ذلك الجيش قد نصحوا رئيس الوزراء فى صباح نفس اليوم ألاّ يورط الجيش فى حرب لايصلح لها ولايقدر على خوضها لنقص العتاد والسلاح والذخيرة وتدنى مستوى التدريب قرب مستوى العدم .

فلما اندفع هذا الجيش مع سائر الجيوش العربية الأربعة الأخرى داخل فلسطين صباح يوم ١٥ مايو تمكّن من انتزاع المبادأة بفضل ممارسة العمل التعرضى على مختلف جبهات الطوق ، وتمتعه بالتفوق الجوى الذى ظل محتفظًا بهما حتى ١١ يونيو عندما قبلت الدول العربية الهدنة الأولى التى فرضها مجلس الأمن لتستغلها إسرائيل فى الحصول على المزيد من الأسلحة والذخائر والمتطوعين حتى تحقق نسبة تفوّق عددى تصل إلى ٤ : ١ على الجيوش العربية مجتمعه كما حصلت على التفوق الجوى فى سماء المسرح ولتقفز بحجم جيشها إلى ١٠٦ ألف مقاتل ، فلما تم لها الأمر عمدت إلى خرق الهدنة يوم ٨ يوليو ١٩٤٨ ، ثم استمرت فى شن العمليات الحربية الواسعة المجال حتى يوم ١٣ مارس ١٩٤٩ عندما وقعّت مصر معها هدنة رودس ، ثم تبعتها سائر دول الطوق العربى الواحدة تلو الأخرى ، وظلت إسرائيل تقبض على المبادأة طيلة ربع القرن التالى ، فلم تنجح مصر وسوريا فى انتزاعها منها إلاّ عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، ولأيام قليلة حققت فيها معجزة العبور وتحطيم حصون خط بارليف الأسطورى ، ثم فقدتها بعد ١٤ أكتوبر بحدوث ثغرة الدفرزوار .

المرحلة الأولى للحرب :

إقتصر نشاط الأركان العامة الإسرائيلية فيما بين ديسمبر ١٩٤٧ ومارس ١٩٤٨ على شن الإغارات الإرهابية ، والتمسك بالمستعمرات النائية أو المنعزلة ، وبالأحياء اليهودية فى البلدان والمدن المختلطة . وفى نفس الوقت كانت العصابات الصهيونيَّة تتأهَّب لارتكاب المذابح الدموية ضد القرى العربية العزلاء لإجبار سكانها على الهجرة الجماعية بهدف إخلاء فلسطين من أكبر قدر من أهلها وإجبارهم على النزوح إلى الدول العربية المجاورة . ونتيجة لذلك دارت عدَّة مناوشات نقتصر هنا على ذكر أهمها :

ففى ١٤ فبراير ١٩٤٨ هاجم ستون فردًا من الهاجاناه قرية سعسع قرب حدود لبنان وقتلوا عشرات من سكانها العرب كما دمروا ٣٥ منزلاً بالأحزمة الناسفة . وبعد يومين اثنين رد جيش الإنقاذ بمهاجمة مستعمرة طيرة زفى جنوب بحيرة طبرية ، وقبل أن تسقط المستعمرة أدركتها قوة بريطانية من بيسان وأجلت جنود الإنقاذ عنها . واستمرت عشرات المناوشات بين الطرفين على هذا النحو ، بينما كانت الأركان العامة تستعد وتحشد قواتها للتحول للهجوم العام تنفيذًا للخطة « دال » سالفة الذكر .

المرحلة الثانية للحرب :

وفى أول إبريل انتقلت الحرب إلى مرحلتها الثانية التى اشتملت على ١٤ إغارة ومعركة إسرائيلية مقابل معركتين عربيتين . فمن بين الإغارات والمعارك الأربع عشرة التى اشتملت عليها الخطة « دال » وقعت تسع منها خارج القسم اليهودى من قرار التقسيم ، كما دارت ثمان منها قبل أن تدخل الجيوش العربية إلى القسم العربى من قرار التقسيم ، وكانت خمس منها تهدف إلى الاستيلاء على القدس ، بينما تنقَّلت التسع الباقية بين مختلف أرجاء فلسطين شرقًا وشمالاً وجنوبًا حيث عملت اللواءات العشرة التابعة للهاجاناه ، والثلاثة التابعة للبالماخ على سبر غور المقاومات العربية ، والاستيلاء على أهم الهيئات الحيوية الأرضية التى توفر لها الوضع الأفضل فى المسرح .

فترةالحرب المعلنة (١٥ مايو ١٩٤٨ - ١٣ مارس ١٩٤٩)

المرحلة الثالثة للحرب:

بمجرد أن أتمت سلطة الانتداب البريطانى الجلاء عن فلسطين دخلتها الجيوش العربية ، حيث خاضت ١٩ معركة فيما بين ١٥ مايو و١١ يونيو ١٩٤٨ ، وقعت أربع منها على الجبهة المصرية ، وثمان على الجبهة الأردنية ، وأربع على الجبهة العراقية ، وثلاث على جبهة سوريا ولبنان .

ولم يكن نجاح جيوش العرب خلال هذه المرحلة يعود إلى تفوقها العددى بل إلى انتزاعها المبادأة من إسرائيل ، وتمتعها بالتفوق الجوى ، ومباغتتها العدو بالهجوم من عدّة اتجاهات وفق استراتيجية العمل من خطوط خارجية التى أربكت الأركان العامة الإسرائيلية وشتّتت جهودها .

والواقع إن المبادأة والعمل التعرضى وسيطرة الطائرات المصرية على سماء المسرح كاد أن يحرز للعرب النصر المأمول الذى لاحت بوادره مع مطلع شهر يونيو ١٩٤٨ عندما كان جيش مصر على مسافة ٣٢ كليو مترًا جنوب تل أبيب ، وجيش العراق على مسافة ١٤ كيلو مترًا شمالها .

ولهذا زاد ضغط الصهيونية على أصدقائها بالعالم الغربى لحثّهم على دعوة مجلس الأمن لغرض هدنة تلتقط خلالها إسرائيل أنفاسها وتضاعف من استيراد السلاح وجذب المقاتلين المتطوعين ، وتحصل على عدد من الطائرات لتنتزع بها السيطرة الجوية من مصر توطئة لاستئناف القتال تحت ظروف أنسب فى البر والبحر والجو .

وفى نفس يوم الهدنة اجتمع قادة اللواءات الإسرائيلية الثلاثة عشر برئاسة يعقوب دورى رئيس الأركان العامة لدراسة الأرباح والخسائر بمناسبة وقف النيران ، بينما جيوش العرب قد أطبقت على تل أبيب من كل ناحية على نحو ما ذكره ملحق جريدة يدعوت أحرونوت الإسرائيلية فى عددها الصادر فى ٦ مايو ١٩٧٣ بمناسبة عقد دراسة عسكرية لأحرج مراحل حرب الاستقلال .

وسرعان ما استجابت الصهيونية العالمية فأرسلت فى منتصف يونيو ثلاث سفن ضخمة شحنتها بأدوات الحرب وذخائرالقتال ، كما وصلت عدة طائرات حربية من طراز سبيتفاير

وهارفارد ونحو ثمانية آلاف مقاتل صهيونى كمقدمة عاجلة لتدفّق أضخم سوف يعقبها .

وبهذا قفز حجم جيش إسرائيل إلى ١٠٦ ألف مقاتل مقابل ٣١ ألف عربى فكانت نسبة تفوق إسرائيل عليهم مجتمعين حوالى ٣,٤ : ١ عندما استأنفت القتال فى المرحلة الرابعة والأخيرة من الحرب بينما كان المخزون الاستراتيجى لجيوش الدول العربية قد قارب على النفاد .

ولهذا كان مدعاة للعجب أن تقبل حكومة إسرائيل مد أجل الهدنة ، بينما ترفضها حكومات العرب رغم الظروف المعاكسة التى تلوح فى الأفق .

وقد وصف أحد المؤرخين الأجانب موقف تلك الحكومات فى هذه الحقبة بقوله :

« لو كان رجال حكومات العرب أنفذ بصيرة وأكثر تقديراً للأمور لتظاهروا على الأقل بالاستجابة لإلحاح برنادوت الوسيط الدولى ومجلس الأمن لمد الهدنة الأولى ، فأبقوا بذلك على وضعهم الأفضل بفلسطين ، ولتفادوا الكوارث التى انهالت عليهم بعدئذ عندما تحوَّل الموقف بغتة - وبمجرد استئناف القتال - لصالح إسرائيل » .

ولسوف تبقى المزايدات والمهاترات سمة بارزة يفقد بها العرب كثيراً من حقوقهم وأرضهم وسمعتهم على نحو ما حدث لهم فى الجولة الثالثة صيف عام ١٩٦٧ .

المرحلة الرابعة والأخيرة للحرب :

فى مستهل هذه المرحلة الأخيرة من حرب فلسطين كانت إسرائيل قد عبأت ١٥ ٪ من جملة تعداد السكان اليهود مقابل ٠,٣ ٪ من جملة تعداد شعوب دول الطوق العربى بما يعنى إن إسرائيل عبَّأت ما ناهزت نسبته ٥٠ مثل العرب . وتقول مارجريت آراكى فى كتابها سيف العدالة المثلوم إن إسرائيل كانت متفوقة عدديًا على العرب ، ورغم ذلك فقد نجحت فى إقناع العالم - وربما العرب أنفسهم - بأسطورة داوود الصغير الحجم المسلح بمقلاع ضعيف (إسرائيل) الذى يحارب جالوت العملاق (العرب) المدجج بالسلاح فيهزمه .

وجنبًا إلى جنب عمليات حشد شباب اليهود الذين وصل منهم إلى فلسطين ٧٠٠ متطوع للخدمة فى السلاح الجوى الإسرائيلى ، كان منهم ١٥٦ طياراً بعضهم من أبطال الحرب العالمية الثانية ، كما فتحت عصابة الأرجون مكاتب للتجنيد فى ٢٣ دولة ، وعملت على جباية الأموال منها وجمع التبرعات وتجنيد وتدريب المقاتلين ، فضلاً عن الحصول على

السلاح وشحنة إلى فلسطين . كما عملت الهاجاناه على تجنيد شباب اليهود ممن لهم سابق خبرة بالقتال على حروب الدبابات أوالعمل على أجهزة اللاسلكى ، وكذا طيارى المقاتلات والميكانيكين المهرة ، وغير ذلك من المهن ذات المستوى الرفيع .

ونشطت تلك الأجهزة فى التعاقد مع المئات من الضباط ذوى الكفاءة القتالية العالية من غيراليهود ، نظير المكافآت المجزية ليتولوا تدريب القوات الإسرائيلية ، ووضع مذهب القتال المناسب لمسرح فلسطين . كما نجح مندوبوهم فى التسرُّب إلى خزانة الملفات السرية للضباط البريطانيين والأمريكيين لينتقوا من بينهم الأكثر قدرة وكفاءة فى أعمال القيادة والتنظيم والتسليح والشؤون الإدارية . فقام هؤلاء الضباط المأجورون بملء كوادر الرئاسات والقيادات والإدارات المقاتلة والفنية ، وكان أبرز من لمع منهم دافيد ماركوس الذى شغل منصب رئيس إدارة الجيش فى قيادة الجنرال الأمريكى لوشيوس كلاى بجيش الاحتلال الأمريكى ببرلين .

وقد تعين ماركوس بمجرد وصوله إلى فلسطين قائداً لمنطقة القدس ، كما كلّف بتحويل الهاجاناه إلى جيش نظامى حديث . وقد أكد موشيه ديان فى مذكراته أن ماركوس حقق فى هذه المجالات نجاحًا منقطع النظير . وقد كان لماركوس عشرات من النظراء الذين قاموا بخدمات مماثلة .

وبفضل تلك المساعدات تم إعداد وتجهيز القوات الإسرائيلية لخوض معارك المرحلة الرابعة من موقع التفوّق العددى والنوعى على العرب ، مع القدرة على انتزاع المبادأة والسيطرة الجويه منهم .

ويحق للمؤرخين أن يتساءلوا لماذا لم يحدث تدفق مماثل من الأمة الإسلامية لإنقاذ فلسطين وقدسها الشريف ، حيث أول القبلتين وثالث الحرمين ومربط البراق الذى عرج بمحمد ﷺ إلى سدرة المنتهى ، لاسيما وقد كان فيهم كثيرون من الذين عادوا لتوهم من مسارح الحرب مشحونون بنفس التجربة الميدانية والكفاءة القتالية مثل اليهود ؟

وبمجرد أن أتمت الأركان العامة خطتها بدأت فى الهجوم العام للاستيلاء على كل مايمكن الاستيلاء عليه ، وإجلاء كل مايمكن إجلاؤه من الفلسطينيين العرب على مراحل متتالية ، تفصل بينها هدنات قصيرة لإعادة فتح القوات وتوفير الميره والذخيرة وإحكام الخطط والتدريب عليها ، وصرح دافيد بن جوريون وقتئذ بأن « إقامة دولة إسرائيل لن

تعتمد على قرار التقسيم ، فدولة إسرائيل سوف تفرض نفسها بجهود أبنائها ، ونحن الذين نقرر مصير البلاد » .

ويذكر الفريق جون باجوت جلوب باشا رئيس أركان القوات الأردنية فى كتابه « جندى مع العرب » مناقشة دارت بين ضابطين يهوديين بريطانيين وبين أحد موظفى حكومة الانتداب عندما سألهما الموظف عن كيفية تنفيذ قرار التقسيم مع وجود أكثرية عربية فى القسم المخصص لدولة إسرائيل . فرد أحدهما قائلا : « لن تكون هناك مشكلة البتة ، فسوف تكفى بضعة مذابح مخططة للتخلص منهم تمامًا » .

وبمجرد أن انتهى أجل الهدنة الأولى يوم ٨ يوليو سنة ١٩٤٨ نشط القتال على جميع الجبهات لمدة عشرة أيام ، وقعت خلالها ٢٧ معركة وعملية ، منها ١٤ على جبهة مصر ، و٦ على جبهة الأردن و ٥ على جبهة العراق ، وواحدة على جبهة سوريا ، وأخرى على جبهة جيش الإنقاذ .

لقد خرجت إسرائيل من قتال هذه الأيام العشرة بعدَّة مكاسب عسكرية أبرزها تأمين طريق المواصلات بين السهل الساحلى والقدس ، واحتلال الجليل الأعلى مع تدمير جيش الإنقاذ تقريبًا .

كما خرجت أيضًا بشريحة من الأرض تربو على ألف كيلو متر مربع من الأراضى التى خصصها قرار التقسيم للعرب . وقبل أن تحل الهدنة الثانية يوم ١٩ يوليو ، والتى لم يحدد مجلس الأمن موعدًا لانتهائها كانت إسرائيل قد استولت على ٢٠١ قرية عربية من مجموع قرى العرب داخل المنطقة المخصصة لإسرائيل والبالغ عددها ٢١٩ قرية ، فى مقابل ١٤ مستعمرة يهودية احتلها العرب فى نفس هذه المرحلة من القتال .

نقطة التحول :

عندما خرقت إسرائيل الهدنة الثانية واستأنفت القتال يوم ١٩ يوليو ١٩٤٨ نجحت فى انتزاع المبادأة إلى جانبها تمامًا ، كما انتزعت أيضًا التفوق الجوى فأجتاز الصراع العربى الإسرائيلى بذلك نقطة التحول لصالح إسرائيل ، الذى ساعد عليه أيضًا خمود جبهات العرب مما ترك قلّة منها لتواجه إسرائيل المتفوِّقة عليها كمًا وكيفًا ، إلى جانب تفجّر الصراعات العربية العربية وتفاقم العزلة بينها مع سريان تيار الملل فى الجبهات الأمامية

والداخلية وانتشار مشاعر الإحباط النفسى نتيجة سريان الشائعات عن تجارة فئة من الكبراء بالأسلحة الفاسدة التى تهدد دماء جنود العرب ، وتوقع الهزيمة فى صفوفهم .

وقد تناول تقرير إدارة الاستخبارات العسكرية المركزية الأمريكية الأوضاع العسكرية فى مسرح فلسطين قبيل انتهاء الهدنة الثانية ، فأكّد على تفوُّق القوات الإسرائيلية كمًا ونوعًا ، علاوة على نجاح الأركان العامة فى تجهيز سلاح طيران قوى وحديث سوف يكفل لها السيطرة الجوية على سماء المسرح .

كما أكد التقرير نفسه أن إسرائيل استغلّت الهدنتين فى تطوير قدراتها العسكرية واستكمال مخزوناتها الاستراتيجية ، بما سوف يمكّنها من التحول للهجوم العام لطرد جيوش العرب خارج فلسطين . ويعنى ذلك أن إسرائيل لم تكسب الحرب بالمعارك بل بالهدنات ، كما أنها لم تحصل على كيانها الدولى بفضل قرار التقسيم ، بل بفرض الأمر الواقع فى المسرح .

وفى منتصف أغسطس ١٩٤٨ أخطرت جولدا مائير قنصل الولايات المتحدة بالقدس أن إسرائيل لم تعد تقبل قرار التقسيم ، وتصر على الحصول على كل النقب فى أية تسوية مقبلة .

والواقع إن إسرائيل من الآن فصاعدًا لم تعد تعطى لقرارات الأمم المتحدة أية اهتمام ، بل وأظهرت حيالها الاحتقار والتجاهل بما دفع جورج مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة إلى إخطار الرئيس ترومان بإصرارها على خرق الهدنات والزحف على الأراضى المخصصة للعرب ، فضلا عن تهريب السلاح والمتطوعين بأعداد ضخمة إلى فلسطين .

وبينما كان جورج مارشال يلوِّح بإعادة النظر فى الاعتراف القانونى بإسرائيل إن لم تلتزم بقرار الهدنة الثانية ، كان شمعون أفيدان قائد اللواء جفعاتى يتقدم إلى الأركان العامة فى نهاية يوليو ١٩٤٨ باقتراح فتح الطريق إلى مستعمرات النقب المحاصرة ، والقضاء على الجبهة المصرية ، بما أطلق عليه اسم « العملية جيس » وهى الحروف الأولى من أسماء اللوائين جفعاتى ويفتاح وقائد لواء النقب ناحوم ساريج .

وكانت الجبهة المصرية تتكون وقتئذ من ثلاث شرائح أرضية على شكل حرف «H» تمتد شريحته المستعرضة بمحاذاة خط المجدل - الفالوجا - بيت جبرين ، بينما تتعامد عليها

الشريحة الغربية بمحاذاة ساحل البحر فيما بين أسدود ورفح ، والشريحة الشرقية عند سفوح الجبال مارة بالقدس وبيت لحم والخليل ، حيث يتمركز المتطوعون والقوات الخفيفة بقيادة البطل أحمد عبد العزيز .

وعندما صدر أمر عمليات « جيس ١ » فى منتصف ليلة ٢٦/ ٢٧ يوليو انطلقت اللواءات الثلاثة سالفة الذكر فى الساعة الثالثة فجرًا ، فلم يصادف اللواء يفتاح النجاح المأمول ، كما تورَّط اللواء جفعاتى فى أرض قتل تغمرها النيران الكاسحة ، ولم يكن حظ لواء النقب بأفضل منهما .

وبفشل العملية أصدرت الأركان العامة أوامرها بدفع قافلة تموين مسلّحة ليلة ٣١ يوليو / ١ أغسطس لإمداد مستعمرات النقب المحاصرة ، وقد نجحت القافلة فى الوصول إلى أهدافها .

ولم يمر أسبوعان على نجاح تلك القافلة ، حتى أمرت الأركان العامة بتكرار العملية مرّة أخرى فيما أطلق عليه اسم عملية « ديرخ لنيجف » التى تعنى « طريق إلى النقب » .

وقد نجحت القافلة التى تحركت قبل منتصف ليلة ١٨ / ١٩ أغسطس فى الوصول إلى مستعمرات النقب ، حيث أمدَّتها بحمولة ٣٠ لورى ٣ طن من الذخائر ومواد الإعاشة .

وبعد أن وافقت القيادة العامة المصرية يوم ٢٩ أغسطس على السماح بتموين مستعمرات النقب المعزولة بمواد الإعاشة ظلت مشكلة تزويدها بالسلاح والذخيرة قائمة ، فتحولت الأركان العامة الإسرائيلية إلى إمدادها جوًا فيما أطلقت عليه اسم « العملية آفاك » التى بدأت يوم ٢٢ أغسطس بوصول أول طائرة تموين إلى مطار روحامه تحمل ١٤ طنًا من الأسلحة والذخائر . ثم تبعتها ٤١٧ طلعة طيران بمعدل ٨ طلعات كل ليلة ، نقلت إلى تلك المستعمرات فيضًا من الأسلحة والذخائر ، كما أعادت نحو ١٩٠٠ جنديًا من لواء النقب المنهكين من شدة الحصار ليحل محلهم عدد مماثل من اللواء يفتاح بطريق البر .

مدة القتال الثالثة :

معارك السبعة عشر يومًا الأولى :

وبنجاح الأركان العامة الإسرائيلية فى دفع الجبهة الأردنية شرقًا إلى سفوح تلال اليهودية بالعملية « دانى » لتبعد خطرها عن قلب الدولة ، لم يبق أمامها إلاّ أن تصفى موقفها فى طرفى المسرح الشمالى فى الجليل ، والجنوبى فى النقب .

وقد تمكّنت من تحقيق ذلك بأربع عمليات حربية حاسمة هى العملية « يوءاب » التى رفعت الحصار عن مستعمرات النقب الجنوبى ، وقد استغرقت المدّة من صباح يوم ١٦ حتى صباح يوم ٢١ اكتوبر ، ثم العملية « هاهار » ، وهى كلمة عبرية تعنى « الجبل » ، وقد نجحت فيما بين ليلة ١٨/ ١٩ ، وليلة ٢١/ ٢٢ اكتوبر فى فتح ممر القدس والاستيلاء على محور بيت لحم - بيت جبرين ، ثم عملية جيب الفالوجا ، فعملية « حيرام » التى قضت على جيش الإنقاذ بقيادة فوزى القاوقجى ، وأتمت الاستيلاء على الجليل الأعلى ، وقد بدأت عصر يوم ٢٧ وانتهت عصر يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٤٨ .

وبذلك تمكّنت الأركان العامة خلال مدة قتال السبعة عشر يومًا الأولى أن تحقق الإنجازات التالية :

١ - فتح الطريق إلى النقب .

٢ - الاتصال بالمستعمرات اليهودية جنوب البحر الميت عن طريق البر .

٣ - إخراج جيش الإنقاذ من الحرب .

٤ - الإحاطة بالقوات الأردنية والعراقية من الشمال والجنوب والغرب .

وكان الكونت فولك برنادوت وسيط الأمم المتحدة قد اقترح نقل ملكية النقب إلى العرب مقابل نقل ملكية الجليل إلى إسرائيل ، فكان رد إسرائيل عليه حاسمًا وفوريًا إذ اغتالته ومعاونه الكولونيل سيرو الفرنسى عصابة شتيرن الصهيونيّة داخل مدينة القدس يوم ١٧ سبتمبر ، وبعد محاكمة صورية أطلق سراح الجناة بعد أسبوعين ، ثم صدر قرار بالعفو العام عنهم يوم ١٤ فبراير ١٩٤٩ . وكان الرأس المدبّر للجريمة السفّاح هو اسحق شامير رئيس حكومة إسرائيل الأسبق والذى صار من أكبر المنددين بالإرهاب العربى فى حقبة الثمانينات، بعد أن خضبت يداه دماء مئات الضحايا الذين اغتالهم نهارًا قبل ذلك بحقبتين .

الهدنة الثالثة :

وكانت القوات الإسرائيلية فى مسيس الحاجة بعد مابذلته من مجهود ضخم فى معارك السبعة عشر يومًا سالفة الذكر إلى فترة راحة وإعادة تنظيم ، بالإضافة إلى قيام الأركان العامة بتعديل تمركز اللواءات الإسرائيلية بما يخدم الخطط المقبلة .

وقد أتمّت كل ذلك فى المدة من ٣١ اكتوبر إلى ٢١ ديسمبر ١٩٤٨ ، والتى توقفت فيها النيران نزولاً على أحكام الهدنة الثالثة التى فرضها مجلس الأمن على الأطراف المتحاربة فى فلسطين .

ومع أن مجلس الأمن طلب من تلك الأطراف العودة إلى خطوط ما قبل خرق الهدنة الثانية في ١٥ اكتوبر ، إلاّ أن إسرائيل لم تعر هذا الطلب أى اهتمام حتى بعد أن اجتمع مجلس الأمن بمقره الأوروبى بباريس يوم ٢٩ اكتوبر ، ولوّح بالتهديد بفرض العقوبات على من يستمر فى تجاهل قراراته . وقد تدخل الرئيس ترومان بنفسه لتأجيل هذا القرار بغية كسب أصوات اليهود فى الانتخابات التى لم يبق على موعدها سوى أربعة أيام فقط .

وقد بلغت حركة تهريب الأسلحة والذخائر إلى فلسطين الذروة خلال تلك الهدنة ، إذ وصلت للقوات الإسرائيلية أعداد كبيرة من الطائرات والدبابات والمدافع من تشيكوسلوفاكيا بما حدى ببن جوريون إلى أن يبرق إلى ستالين بالشكر العميق على مساعداته .

ثم اصطبغت الأمور بلمسة من الطرافة عندما انتقد الاتحاد السوفيتى حكومة بريطانيا لخرقها قرار مجلس الأمن واستمرارها فى إمداد العرب بالأسلحة والذخائر ، وأبدى امتعاضه من هذا المسلك المعيب !

ونتيجة لما سبق ذكره انفرد الصراع العربى الإسرائيلى بشكل خاص ، إذ لم يعد هناك أمل فى أن يبلغ نهايته نتيجة تدخل أطراف خارجية فى مجرياته بفرض الهدنات حينًا ، وبتوريد السلاح حينًا آخر ، وبإرسال المتطوعين فى الوقت المناسب لترجيح كفة طرف على الآخر ، بما أوقع أفدح الأضرار بالطرف المقابل الذى كان دائما هو العرب .

وزاد الأمر سوءًا وقوف أغلب الجبهات العربية موقف المتفّرج على ما تقوم به إسرائيل ضد إحدى الجبهات الشقيقة التى يسقط شهداءها وتفقد أرضها ، دون أن تهب الأخريات لنجدتها ، تماما مثلما سبق أن حدث منهم فى الأندلس منذ نحو خمسة قرون .

ولمّا لم يستطع الفريق صالح صائب الجبورى رئيس أركان جيش العراق صبرًا على تلك الحال ، أرسل استقالته المسببه إلى بغداد يقول فيها « لم أعد أطيق مشاهدة تلك التمثيلية البغيضة » .

بداية النهاية :

وفى مساء الأربعاء ١ نوفمبر ١٩٤٨ نجح شبح الهزيمة فى أن يجمع رؤساء أركان الجيوش العربية لتدارك الموقف بعد أن تجاوز نقطة الانهيار . وتلخّصت توصياتهم للجنة السياسية لجامعة الدول العربية على التأكيد بأن استمرار حالة الجمود والسلبية والنزول للعدو عن المبادأة والتفوق الجوى سوف يؤدى حتمًا إلى الهزيمة .

ولم يمر على تلك التوصية أسبوع واحد حتى كان قائد منطقة القدس موشيه ديان يجتمع بقائد القوات الأردنية بها يوم ١٨ نوفمبر ، لتهيئة الجو نحو عقد اتفاق منفرد لإيقاف النيران على تلك الجبهة .

ثم اجتمع الملك عبدالله ببعض الساسة والقادة العسكريين الإسرائيليين بقصر الشونة ليلة ١٦/١٧ يناير لنفس الغرض ، ولأبعد منه ، فزاد الخرق فى الصف العربى اتساعًا لاسيما وأنه كان يشغل منصب قائد الجيوش العربية فى فلسطين !

وتحت هذه الظروف التى تدعو إلى الأسف والأسى لم يكن غريبًا أن تستغلها الأركان العامة الإسرائيلية لتدفع خطوطها الأمامية إلى حيث يستطيع جنودها أن يصلوا إليه . وقد دارت خلال تلك المدة التى امتدت من ١٥ نوفمبر إلى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ثمانى معارك وعمليات ضخمة ، كانت بمثابة بداية النهاية للعمل العسكرى العربى بفلسطين قبل أن تنسدل عليه ستائر الهزيمة .

وقد ختم يجال آلون قائد الجبهة الجنوبية أمره اليومى صباح ٢٢ ديسمبر بقوله . . « من أجل القضاء النهائى على جيش مصر سنهاجم العدو » ورسم آلون خطته فى شكل حركة تطويق واسعة من الشرق للغرب مرورًا بالعوجه وأبو عويقيلة لتنتهى عند ساحل البحر المتوسط بين رفح والعريش ، لعزل القوات المصرية بفلسطين عن قواعدها فى سيناء والدلتا توطئة للقضاء عليها بعدئذ جزءًا وراء الآخر .

وبدأت « حوريب » ، وهو اسم الجبل التى ناجى عليه موسى ربه ، بقصف مطار العريش فى الساعة التاسعة مساء ٢٢ ديسمبر بقلعتين طائرتين ب - ٢٩ قفلت المطار ، بينما كانت طائرات أخرى كثيرة تقصف رفح وخان يونس والفالوجا بغاية العنف .

وبعد عدّة مناوشات استمرت لمدة ٧٢ ساعة أطلق آلون قواته الرئيسية ليلة ٢٥/٢٦

ديسمبر فى مناورة تطويق صوب العسلوج التى انقضَّت عليها عناصر من اللواء ٨ المدرع ولواء النقب فى الساعة ١١ مساءً ٢٥ ديسمبر ، فتمكَّنت من احتلالها عند الفجر بينما كانت قوات خاصة تقطع خطوط المواصلات الحديدية والطرق البرّية فيما بين غزة وبير العبد فى ٤٨ موضع ، بواسطة جماعات تخريب تسلَّلت إليها من البحر لتشيع حالة من الارتباك تسرع بانهيار الدفاعات المصرية واستسلامها .

وبمجرد أن عبرت قوات آللون حدود مصر عند العوجة ، وجد اللواء صادق قائد القوات المصرية بفلسطين نفسه أمام موقف بالغ الخطورة إذ لم تعد قواته المنتشرة بحذاء ساحل البحر المتوسط من شمال غزَّة حتى غرب العريش تستطيع مواجهة أى من احتمالات العمل الكثيرة التى انفتحت أمام آللون بعد استيلائه على العوجة .

إلاّ أن صادقًا كان على ثقة أيضًا بأن قوات آللون قد بلغت آخر المدى ، وأن التعب والإنهاك وأعباء طول خط المواصلات لن يترك لها فرصة لتحقيق ما هو أكثر مما حققته حتى ذلك الوقت . ولهذا ظل صادق رابط الجأش يشيع الطمأنينة فى مرؤوسيه وجنوده الذين هرع إليهم تاركًا مركز قيادته فى الخلف لثقته بأن وجود القائد بين جنوده لايعدله شىء ، وهو مالم يفعله أحد غيره فيما تعرضوا له من مواقف مشابهة فى الجولات التالية .

وفى صباح ٢٩ ديسمبر وبينما رتل اللواء ٨ المدرع يقترب من مطار العريش الذى أخلته الطائرات وشيكا إلى مطار الحمة اصطدم فى الساعة الثالثة عصرًا بكمين مضاد للدبابات يقوده البطل الشهيد الملازم أول عبد الحميد محمد أبو زيد ، الذى فتح نيران مدفعه البوفورز - ٤٠ ملليمترًا - - الوحيد فحطَّم جنزير الدبابة القائدة للرتل الذى توَّقف للتو ، ثم ارتد على آثاره نحو أبو عويقيلة .

ومنذ العصر كان رتل آخر ينطلق من أبو عويقيله صوب الحسنة ، إلاّ أن الطائرات المصرية انقضت عليه وأجبرته على العودة من حيث أتى .

وبذلت القوات الجوية المصرية بقيادة اللواء مصطفى الشعراوى خلال ذلك اليوم جهدًا عظيمًا فى مساندة القوات البرية التى كانت تتعرض لخطر التطويق والإبادة ، مما دفع اللواء صادق إلى أن يرسل مع غروب الشمس ببرقية يطمئن فيها القاهرة إلى أنه قد نجح فى القبض على زمام الموقف، وأن القوات الجوية قامت بعمل عظيم فى انقاذ قواته وإجبار العدو على الانسحاب خلف الحدود .

وأبدت بعض المحافل الدولية امتعاضها من تجاوز إسرائيل الحدود ، فصدر قرار مجلس الأمن يوم ٢٩ ديسمبر بوقف النيران وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى نفس الخطوط التى كانت تحتلها قبل بداية عدوانها يوم ٢٢ ديسمبر ، وهو الأمر الذى لم يقبله بن جوريون حتى هددته الولايات المتحدة يوم ٣١ ديسمبر بعزمها على إعادة النظر فى علاقاتها معه إذا رفض الانسحاب من سيناء فانصاع على الفور

النهاية :

إلا أن بن جوريون لم يكن قد ملأ جوفه بعد من تراب فلسطين ، فاستغلّ فاصل الزمن بين توقيع مصر على هدنة رودس وتوقيع الأردن عليها ليستولى على النقب بالعملية التى أطلقت الأركان العامة عليها الاسم الرمزى « عوفداه » ، والذى يعنى بالعربية « الأمر الواقع » .

العملية عوفداه (٥ - ١٣ مارس ١٩٤٩)

مع أول أشعّة الشمس صباح ٥ مارس تحركت مقدمة لواء النقب برّاً من عبدات ، بينما تحركت مقدمة اللواء الجولانى من كرنب ، واللواء إسكندرونى من بير السبع . وبعد أن اطمأنت الأركان العامة الإسرائيلية إلى أن القوات البريطانية المتمركزة حول مدينة العقبة لن تعترض طريق قواتها ، وأن عناصر الفيلق الأردنى سوف تتحاشى الاصطدام بها ، أصدر يعقوب دورى رئيس الأركان العامة إلى يسجال آللون قائد الجبهة الجنوبية أمره باستكمال تنفيذ العملية عوفداه .

وفى الساعة الثالثة عصر يوم ١٠ مارس وصلت طلائع لوائى النقب والجولانى إلى أم الرشرش حيث أرسل الملازم أبراهام آدن برقية إلى القيادة الجنوبية يخطرها بوصوله إلى « نهاية الخريطة » وصنع من قطعة قماش علم إسرائيل الذى رفعه على مبنى الهجانة عند الساحل .

وفى يوم ١٣ مارس أتم اللواء إسكندرونى احتلال عين جدى على البحر الميت ، فاستكملت عوفداه أهدافها . وبعدها بعشرة أيام وقّع لبنان هدنة رودس ثم تبعه الأردن يوم ٣ إبريل ، فسوريا يوم ٢٠ يوليو ١٩٤٩ ، بينما رفض العراق التوقيع لعدم وجود حدود مشتركة بينه وبين إسرائيل .

وهكذا طويت صفحة حرب فلسطين التى كانت أول وأخطر جولات العرب مع إسرائيل والتى اغتصبت خلالها نحو ٦٦٠٠ كيلو مترًا مربعًا من الأراضى العربية ، وضمتها إلى رقعة الدولة البالغ مساحتها ٢٠٧٠٠ كيلو مترًا مربعًا طبقًا لقرار التقسيم ، ويعنى ذلك أن دولة إسرائيل قامت على مساحة قرار التقسيم « كحق قانونى » (Dejure) وعلى مساحة الأرض الإضافية المغتصبة بحق « الأمر الواقع . . . » (De Facto).

ولما لم يكن ذلك هو كل ما تطمع فيه إسرائيل من أرض وحقوق العرب . . فقد توالت الاعتداءات الإسرائيلية بعد تلك الجولة الأولى حتى عدوانها الخامس على لبنان فى عام ١٩٨٢ .

الفصل الخامس

النشيد الإلهى فى حرب فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾

(سورة محمد - الآيات ٤،٥،٦)

ودق الاستعمار مسمار جحا الإسرائيلى فى هذا القلب النابض ، ورسم للجيوش العربية - غير القادرة - طريق الهزيمة والاندحار لتثبيت كيان دولة إسرائيل . وتقدمت الجيوش العربية إلى داخل فلسطين فى الطريق المرسوم لها كل في قطاع خاص ومحور معين . تنظيم وتخطيط القيادة البريطانية ، وبالطبع لم يكتب للجيوش العربية أى نصر أو نجاح إلاّ فى معارك قليلة لعدم إعداد القوى الإعداد الصالح للقتال اللهم إلا صيحات جنود الحق المؤمنة رافعة شعار الله أكبر الله أكبر وبعزيمة المؤمن وقوته نجحت قوات المتطوعين العرب المسلمين فى معظم معاركهم ضد العدو الإسرائيلى الغاصب . . . حيث كانوا يقاتلون مجاهدين جاعلين الجهاد فريضة محكمة لصيانة مبادئ الشرف والعزة والكرامة ، متبعين دعوة الإسلام ورسول السلام محمدا ﷺ حين رفع مشاعل الهداية بيد وحمل بالأخرى سلاحه للذود عن تلك المبادئ ولتحرير المستضعفين وقهر الظالمين كما ضرب أصحابه واتباعه أمثلة رائعة ورسموا صفحات لامعة من التضحية والفداء والشجاعة والإقدام ، وجاهدوا فى الله دون أن يخشوا لومة لائم ولا بطش قوى ولا مكر غادر ، ولم يرهبوا الأعداء مهما تجمعوا ولم يخافوا المتربصين وان تألبوا . . .

وعن رسول الله ﷺ قال « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » .

وكان ابن الأكوع يحدو ركب المسلمين إلى خيبر ، ويحرك الركاب بأراجيزه المثيرة المؤمنه وكان مما قال :

والله لولا الله ما اهتدينا ولاتصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لله ما أبقينا وألقين سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صيح بنا أتينا

إن اليهود قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

ولما رأى اليهود جيش المسلمين قد أقبل ، ولوا الأدبار يتصايحون :

هذا محمد وجيشه العظيم ، وحين سمع الرسول ﷺ قولهم قال :

« الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

ويقول الله تعالى عن اليهود الكثير من الصفات من نقض العهود وتحريف الكلم وقسوة القلب .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾

{ المائدة / ١٣ }

أرسلت خمس دول عربية جيوشها لتقاتل فى فلسطين، ومعها جموع من المجاهدين وقاتلوا وقتلوا دون تنسيق بينهم أو حتى تعاون ، فلم تضمهم قيادة واحدة أو رئاسة مشتركة ولا جمعتهم وحدة هدف أو مصير ، كل يعمل على شاكلته ، وكل يعمل على هواه وعادت الجيوش العربية وقوات المتطوعين إلى أوطانها مكسورة الجناح مثقلة بالضحايا والجرحى والمصابين والمشوهين ، تاركة خلفها آلافًا من الشهداء الأبرياء الأبرار فى القدس واللد والرملة والجليل وأسدود وعراق المنشية والفالوجا وعراق سويدان ونيتساليم وغزة وبئر السبع ، وفى ضواحى حيفا وتل أبيب تشكوا أرواحهم مالمست من غدر الاستعمار وخيانة الصديق وطعنات القريب ، مع عدم الاهتمام بالإنسان الذى راح ضحية كل هذا وكان النشيد الإلهى فى حرب فلسطين هو الفاتح للنصر فى عدد من المعارك الى دارت رحاها على أرض السلام . أرض الأنبياء والمرسلين ، وهو الحافظ لكثير من أرواح عباد الله المؤمنين الذين أظلتهم مظلة الإيمان وحفظتهم عناية الرحمن . . .

فى ليلة ١١ مايو ١٩٤٨ كانت رؤيا من الله سبحانه وتعالى تبشرنى بشىء ما فى صحراء سيناء ، وهو أن أصلى بجماعة من الضباط إمامًا فى الصحراء على طريق الكونتلا - نخل فى صحراء سيناء .. اللهم اجعله خيرًا ، ودخلت الجيوش العربية فى فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ثم اشتركت فى حملة فلسطين يوم ١٩ مايو ١٩٤٨ ، أما الملازم أول مصطفى كمال محمود عثمان فقد سافر إلى العريش والتحق بالكتيبة الأولى المشاة هناك استعدادًا لدخول أرض الميعاد ، وأرسل خطابا إلى صديق له وبين سطوره عبارة الوداع وقد استشهد البطل المؤمن على الأسوار الشائكة لمستعمرة دير سنيد شمال غزه يوم ٢٣ مايو ١٩٤٨ أى قبل مرور سبعة أيام على وصول الخطاب الأخير ..

البطل أحمد عبد العزيز :

وبعد ظهر يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ وصلت طلائع القوات المصرية إلى مدينة غزة ، وكانت قوات البطل أحمد عبد العزيز تمهد لها فى كل خطواتها بالجناح الأيمن تجاه بئر السبع - الخليل - بيت لحم - القدس ، ومعه متطوعون ليبيون وسودانيون ومن الأخوان المسلمين وكانوا يهاجمون المستعمرات اليهودية بشجاعة وبسالة منقطعة النظير ، تظللهم مظلة الإيمان العميق بالنصر أو الشهادة وسلاحهم الله أكبر ، الله أكبر وقد أثارت بطولاتهم إعجاب العرب وأفزعت اليهود وفى أثناء المعارك التى دارت فى عين كارم والملحة تقدم البطل أحمد عبد العزيز بسيارته الجيب ومعه مساعده نحو الخطوط الأمامية ، ثم تابع السير غير عابئ بالرصاص ولما نبهه مساعده إلى الخطر نظر إليه مبتسما وهو يقول :

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة / ٥١]

ولما جاءه خبر بأن اليهود وضعوا الألغام فى طريق الوحدات التى بعثها للهجوم على إحدى المستعمرات اليهودية وخشى منها على جنوده ، ذهب بنفسه ليطهر الطريق قبل وصول الجنود إلى المكان ولما حدثوه عن خطورة هذا العمل قال « أتستكثرون علىّ أن أطهر موضع اقدامكم مرحبا بالموت فى سبيل نصركم » وانتهت حياته بطلقه غادرة فى الصدر بالقرب من منطقة عراق المنشية ، واستشهد البطل ﴿ ولا تحسبن ٱلذين قتلوا فى سبيل ٱللَّهِ أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران / ١٦٩] وقبره فى غزة مازال يزار ...

شهداء وشهداء :

وهناك على أرض السلام يرقد تحت ترابها شهداء مصر ، الذين قاتلوا لنصرة الحق تلبية لنداء الجهاد فى سبيل الله لنصرة شعب مسلم مسالم ، نهشته الصهيونية بمخالبها فى كل جسده لتحطمه . .

ونماذج الأبطال كثيرة كلها تحكى قدرة الله وعظمة الإيمان ونعيم الشهادة . . ومنهم **محمد لبيب السمادونى** الذى ورث عن جده لأمه المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان الصراحه فى الحق وقوة الخلق والإيمان الذى يرفع صاحبه إلى القمة . . . كافح البطل فى الميدان ولما اصابه الإعياء نصحه زملاؤه بالراحة فى المستشفى ، فأبى حتى حملوه إليها وفى اليوم التالى علم بمعركة محتدمة فى رفح فارتدى ملابسه وغادر المستشفى دون تصريح من الطبيب ثم توجه إلى مكتبه على الفور حيث اطلع على خريطة الموقف ، وغادر مكتبه إلى ميدان المعركة كجندى يقاتل فى الصفوف الأمامية حتى وافاه القدر فانتقل إلى برزخ الشهداء . . ومثل آخر ممن اظلتهم مظلة الإيمان فى حرب فلسطين **محمد وجيه أحمد خليل** ، فقد اختاروه فى عملية الهجوم على مستعمرة - دير سنيد - فتقدم مع الكتيبة إلى مكان اختارته له قيادته وأخذ يعمل مع قائده على تحصين مواقعه لاينام الليل ولايهدأ بالنهار ، ولما علم أن زميله اليوزباش أميل فرج جرح أثناء الهجوم على مستعمرة نجبا أبت عليه شجاعته إلا أن ينقذه بنفسه فتقدم غير هياب ولا وجل فوضعه على حمالة رجعت بالزميل المجروح تحت وابل من رصاص العدو وأخذ يجاهد الأعداء ويبعث فى جنوده روح الاقدام ، حتى أتته رصاصة طائشة فذهب إلى علىين مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا . .

الإيمان حصن المخلصين

فى يوم ٦ يناير ١٩٤٩ ركز اليهود ضربات الهاون على طريق رفح العريش لقطع الطريق ومنع تحرّك أى قوات أو عربات إلى العريش ، وحدثت خسائر كثيرة فى العربات التى حاولت العبور والحمد لله سبحانه وتعالى أن مررت بعربتى الجيب رقم ١٠٣١٦ بسرعة ٨٠ كيلو متر / ساعة قبل القصف اليهودى بدقائق وهكذا أراد الله لى النجاة وبعدها تم قطع الطريق نهائيا وتوقفت حركة المرور تمامًا . . . وكان توقيت إيقاف القتال هو ساعة ١٤٠٠ يوم ٧ يناير ١٩٤٩ ، فسجدت لله شكرًا على نعمة التوفيق والحماية تحت مظلة الإيمان .

تعين اليوزباشى عبد المنعم خليل قائدا لسرية حراسة طريق رفح - العريش وشريط السكة الحديد الموازى له تقريبًا خلال شهرى ديسمبر ١٩٤٨ ويناير ١٩٤٩ . وقد حاولت داوريات يهودية بث ألغام على شريط السكة الحديد وعلى الطريق ، ونجحت فى بعض الليالى الحالكة الظلام فى وضع ألغام مضادة للدبابات ومضادة للأفراد على الطريق وعلى شريط السكة الحديد ، وتمكنت عناصر تتبع الأثر من رجال سلاح الحدود من تحديد المكان وتم رفع الألغام بعد تأمينها وكانت الطائرات اليهودية المقاتلة تقوم بدوريات اقتناص على الطريق ، وكان القائد ومعه بعض معاونيه من ضباط الصف يمرون على إحدى المواقع وتعرضوا لهجمات طائرتين مقاتلتين على موجات متتالية فى طيران واطئ جداً يكاد يلمس التبة الواقفين عليها واستخدموا ما يشبه القنابل اليدوية القيت من الطائرة مع طلقات من رشاشاتها النصف بوصة ، وكانت مظلة الإيمان تنشر أجنحتها عليهم فلم يصب أحد بسوء حتى اللورى الذى كان يقلهم ظل سليما والحمد لله . .

وفى مذكرات اليدان التى كتبها اليوزباشى عبد المنعم خليل بعد انتهاء قتال فلسطين وبالتحديد يوم ٣ فبراير ٤٩ يقول :

إن الضمير الحى وتقوى الله فى كل عمل يُعمل ، يؤدى بهذا العمل إلى النجاح المؤكد .. آه لو كل إنسان فى مصر يحاول أن يعمل ساعة بإخلاص ويراعى الله فى عمله لما وصلنا إلى هذه الدرجة من الانحطاط .. إننا نسير إلى الوراء البعيد بخطوات سريعة وسريعة جداً والله يهدنا إلى الصراط المستقيم ..

إن ما يحز فى نفسى أن أرى هذا العسكرى أو ذاك الشاويش أو حتى حضرة الضابط يهمل فى عمله ولا يؤديه على أكمل وجه !! ان مصر فى حاجة إلى إخلاص ووفاء من ابنائها وإن لهم فى شهدائهم الأوفياء لمثلاً أعلى فى الإخلاص والوفاء ..

أيها الناس أرحموا من فى الأرض واخلصوا فى أعمالكم يرحمكم من فى السماء ويخلص لكم ، إن السلام حلم جميل يداعب عقول البشر ، أما الحرب فهى حلم جميل للمعتوهين !!

يوزباشى عبد المنعم خليل
رفح ٣ فبراير ١٩٤٩

وما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم رِكابا

(شوقى)

الشهيد اليوزباشى عبد المنعم حمزه من الكتيبة الثالثة المشاة ، وهو من النوع الذى تفخر به الأمم ، فقوة إيمانه تشع فى قلوب أفراد سريته الشجاعة الصادقة وتولد فيهم العزة والكرامة . وقفت بجواره أشاهد معركة بئيروت قرب غزة يوم ١٩٤٨/٧/١٥ ، ثم تركته ليتقدم صفوف رجاله إلى أن لقى حتفه أمام دشمة قوية للعدو بمستعمرة بئيروت اسحق .

الشهيد سعد حنفى حسن من سلاح الفرنسان الملكى ، ذو خلق نبيل ونفس مؤمنة ، كان دائما يبث روح القوة والأمانة فى نفوس رجاله اشترك فى معركة نيتسانيم وزرته هناك بعد الاستيلاء على المستعمرة ، وأعطانى صورته تذكارًا للمحبة ، وذهب كل منا فى طريقه إلى أن استشهد فى ١٩٤٨/١٢/٣٠ ، قبل نهاية الحرب بأيام فى معركة بين مدرعاته ومدرعات العدو بالقرب من أبو عجيلة .

الشهيد اليوزباشى جلال السيد حجاج من سلاح خدمة الجيش الملكى ، كان خلقه السمح وظرفه وابتسامته التى تصاحبه دائمًا سمة مميزة له ، وكنا نزوره فى مبنى صغير بمحطة سكة حديد غزة وننعم عنده بالمياه والكهرباء والطعام ونحسده على ما هو فيه من نعيم وتركناه فى المساء ، وعدنا إلى معسكرنا وفى اليوم التالى أغارت ثلاث طائرات سكاى هوك على المحطة وألقت قنابلها واحترقت المحطة وقطار المازوت بها واستشهد البطل وكان معه فى الحجرة زميل وهو اليوزباشى جورج واصف قفز من النافذة ونجا والحمد لله .

الآمنون من عذاب الله يوم القيامة :

الصاغ محمد السيد عبد الرحمن ، قائد قسم المشاه بمعسكر الإمداد بالرجال فى فلسطين، يمتاز بالإيمان متمثلا فى حب الخير للجميع والتفانى فى خدمة الصغير قبل الكبير . . ذو قلب صافٍ ونفس طاهرة . ولما ظهرت نشرة الإنعامات السامية لمن أبلوا بلاءًا حسنًا فى حرب فلسطين كوفئ بمنحه نيشان الجدارة الذهبى . وهو أقل مايجب نحو شخص ضحى براحته وراحة أولاده فى سبيل المصلحة العليا ، ولن أكتب عنه وعن أعمال شيء إلا كلمة واحدة . . وهى إننى أعتقد أنه أرضى الله وضميره والحمد لله . . كان كل إنسان فى

الجيش يتوق إلى نيشان وهكذا كل أفراد المعسكر ضباطًا وجنودًا ولكن ليس على حساب الغير . . ولسوء الحظ أو للأسف الشديد كان بعض أفراد معسكرنا قد أعماهم تراب الحياة القاسية عن حسنات غيرهم إليهم شخصيا فوقفوا أمام قدرة الله يائسين من الحياة دون نيشان ، ساخطين على من منحته العناية الإلهية نيشان من يد إنسان !! وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل ادعوا أنه المتسبب عن عمد فى أنهم لم ينالوا ما يستحقون !! جزاهم الله خيرًا . .

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يظهر الحق ، وأن يشعر المخطئ بأنه قد أخطأ فى حق رجل أحسن إليه واظهر الله الحق واضحا للجميع فاقتنعوا واعتذروا والحمد لله .

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرَّجة يدق

(شوقى)

الشهيد اليوزباشى بيومى على الشافعى من الكتيبة التاسعة بنادق مشاة ، أحاط به اليهود من كل جانب وسلطوا عليه وعلى رجاله نيران مدفعيتهم وقنابل طائراتهم ودباباتهم الثقيلة وقاتل بالقنابل اليدوية والسلاح الأبيض ، إلى أن لقى ربه يوم ١٩/ ١٠/ ١٩٤٨ .

الذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا

أحب أن أذكر فى هذه السطور القلائل بعضًا من إخوانى الأبطال الذين استشهدوا فى العمليات الحربية التى وقعت فيما بين ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى ٧ يناير ١٩٤٩ . . . إنهم حقا أبطال ومثل عليا فى الوفاء والتضحية والشجاعة ، رحمك الله يا مصطفى كمال ، ويا عبد المنعم العديسى ، ويا عبد المنعم حمزة ، ويا صلاح إبراهيم ، ويا أبو زهرة . وإنى لم انس ، يا « أبو زهرة » أنك كلفتنى عندما زرتك فى أسدود بعد المعركة الناجحة ضد اليهود الآثمين أن أعمل لك علامة تحقيق شخصية من فضة وتم عملها وأرسلتها لك !!) رحمكم الله جميعا أيها الأبطال وعاشت مصر حرة بدمائكم . . .

التواضع سلم الشرف :

قائد الأسراب محمد عبد الحميد أبو زيد من السلاح الجوى الملكى ، كنا نسميه « أبو زيد الفيوري » نسبة إلى طائرته الفيورى التى تحمله إلي السماء بخفة وجرأة ، وله قصص بطولية كلها جرأة وقوة وأمانة كنا نراه فى الجو يطارد طائرات اليهود ويلحق بها ، ويدمرها وكنا نراه يعاون المشاه فى هجومها على المستعمرات وكنا نحبه ونعجب به ونزوره فى كثير من الاحيان فى أرض الهبوط . نستمتع بقصصه الحقيقية عن البطولة . ولما تعرضت المدمرة « مصر » لقتال بحرى وجوى مع مدمرات العدو وطائراته انطلق أبو زيد الفيورى إلي السماء وأغار على إحدى المدمرات وغاصت فى الماء وانقض على طائرة يهودية فهوت إلى الأرض تحترق ، ولكن طائرته تلقت قذيفة معادية فهوت بالبطل إلى البحر محترقة رحمه الله ، فقد كان بطلاً أسطوريًا . .

عودة ابطال الفالوجا :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الفتح ١]

صدق الله العظيم .

بهذه الآية الكريمة بدأ يوم ٢٨ فبراير ١٩٤٩ أول اجتماع من نوعه فى تاريخ مصر عامة والجيش المصرى خاصة ، إذ اجتمع فيه زملاء الحرب للموت والاستشهاد فى سبيل مصر ، اجتماع ضم عناصر من أفراد قوات مصر الباسلة مع ابطال الفالوجا - أعزهم الله - ولست أدرى كيف أصف هذا اليوم التاريخى ، فقد عاد الأبطال من الحصار يوم ٢٧ فبراير ١٩٤٩ .

وكتبت فى مذكراتى أصف هذا اليوم الرائع . .

إن العيون كانت تسيل دموعا أهى دموع الفرح بالحياة أم دموع السعادة لوجود أعزائنا معنا ؟! إننى عندما قابلت أخى محمد أمين أحمد اغرورقت عيناى بالدموع . . دموع لست أدرى سر انسكابها ، إنها دموع الشكر لله الكريم ، واحمده سبحانه وتعالى لأنه أعاد إلينا أبطالنا جميعا سالمين ، ألف شكر لك يارب يا كريم . . ووقف القائد العام أو القائد الصريح وبجواره السيد طه البطل الأسود والقلوب تهتف لهم بعد هتافهم لقائدنا الأعلى - أعزه الله - تكلم فؤاد صادق بأسلوب رقيق قوى ! هادئ مثير ! لماذا نحن هنا

استراتيجية مصر !! الحال الفاسد فى البلد و الجيش .. الدسائس التى تحاك لنا فى مصر !! الإيمان بالملك بعد الله فهو قائدنا الأعلى .. تكلّم القائد كأنه الأسد .. كان صريحا وفى منتهى الصراحة وقد ودعنا فى نهاية الحديث قائلا السلام عليكم لأنى قد ذهبت ، وساترك لكم أنتم تسيير الجيش لرفعة مصر الحبيبة .. ثم أكد قبل الانصراف أن الجيش سيبقى بعض الوقت شرق القنال (ربما رفح والعريش والقنطرة شرق) مع الاحتفاظ بعلاوات الحرب إلى حين !! وحدثت بلبلة بين الضباط وتكهنات وإشاعات ، ولكن فى اليوم التالى حضر إلى رفح الفريق حيدر باشا وأذاع بنفسه بعض الانعامات السامية (الملكية) على عدد من الضباط المقاتلين فى فلسطين وبعد فترة بسيطة عادت قوات الفالوجا إلى القاهرة فى احتفال شعبى رائع ، غطى على ظلمات الهزيمة أو الهزائم الكثيرة التى ذقناها فى حرب لم يُعدَّ لها الإعداد الضرورى .

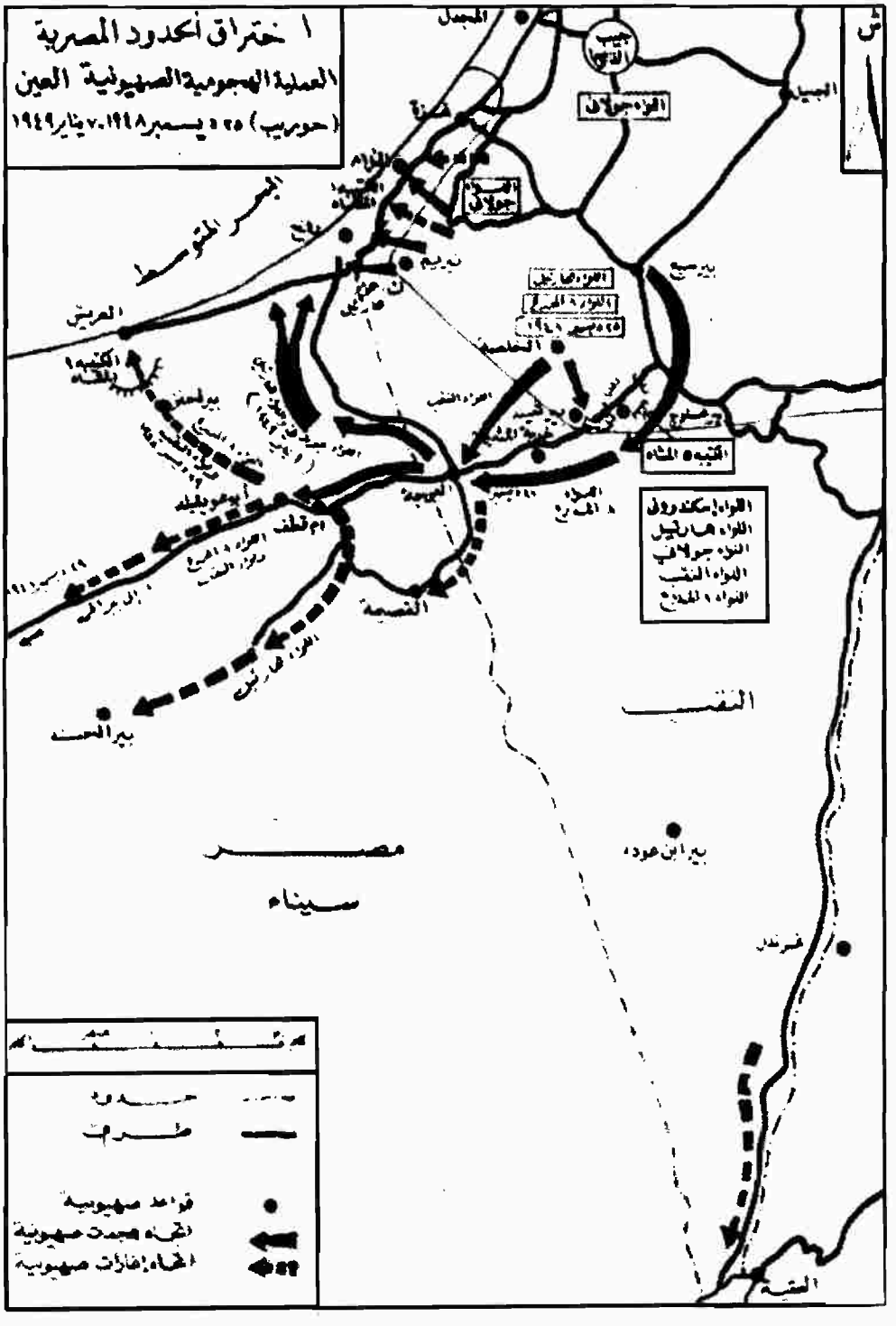
اختراق الحدود المصرية
العملية الهجومية الصهيونية العين
(حوريب) ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ - ٧ يناير ١٩٤٩
البحر المتوسط
العريش
بير لحفن
أم قطف
النقب
مصر
سيناء
بير ابن عوده
خرندل
العقبة
المجدل
الفالوجا
البيرة
بيرسبع
الخليصة
القنيطرة
الكتيبة المشاة
اللواء الشمالي
اللواء الغربي
اللواء الجولاني
اللواء الشرقي
اللواء المدرع
قواعد صهيونية
اتجاه حركات صهيونية
اتجاه غارات صهيونية

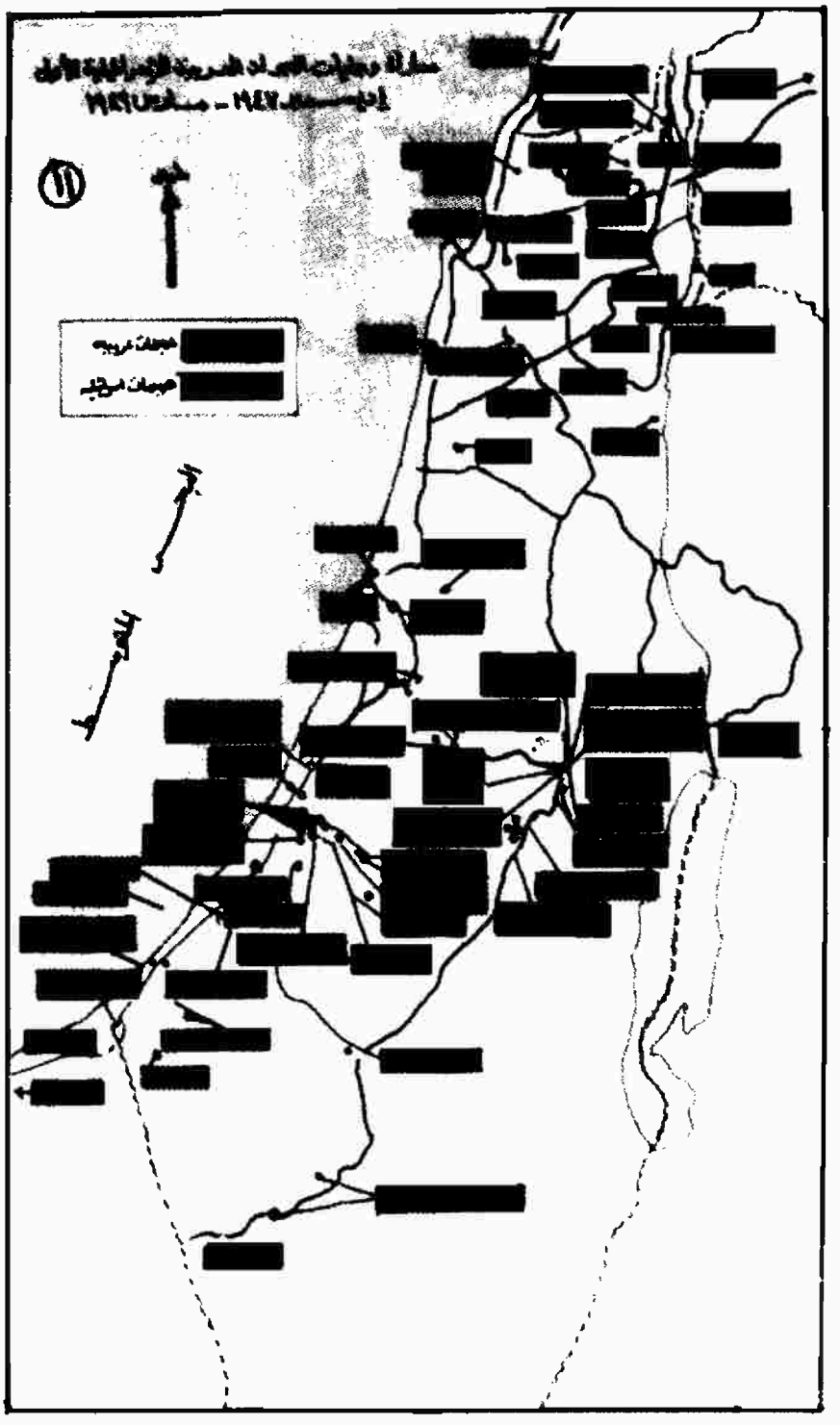

الجولة العربية الإسرائيلية ديسمبر ١٩٤٧ - مارس ١٩٤٩ م

بيـــان إحصـــائى

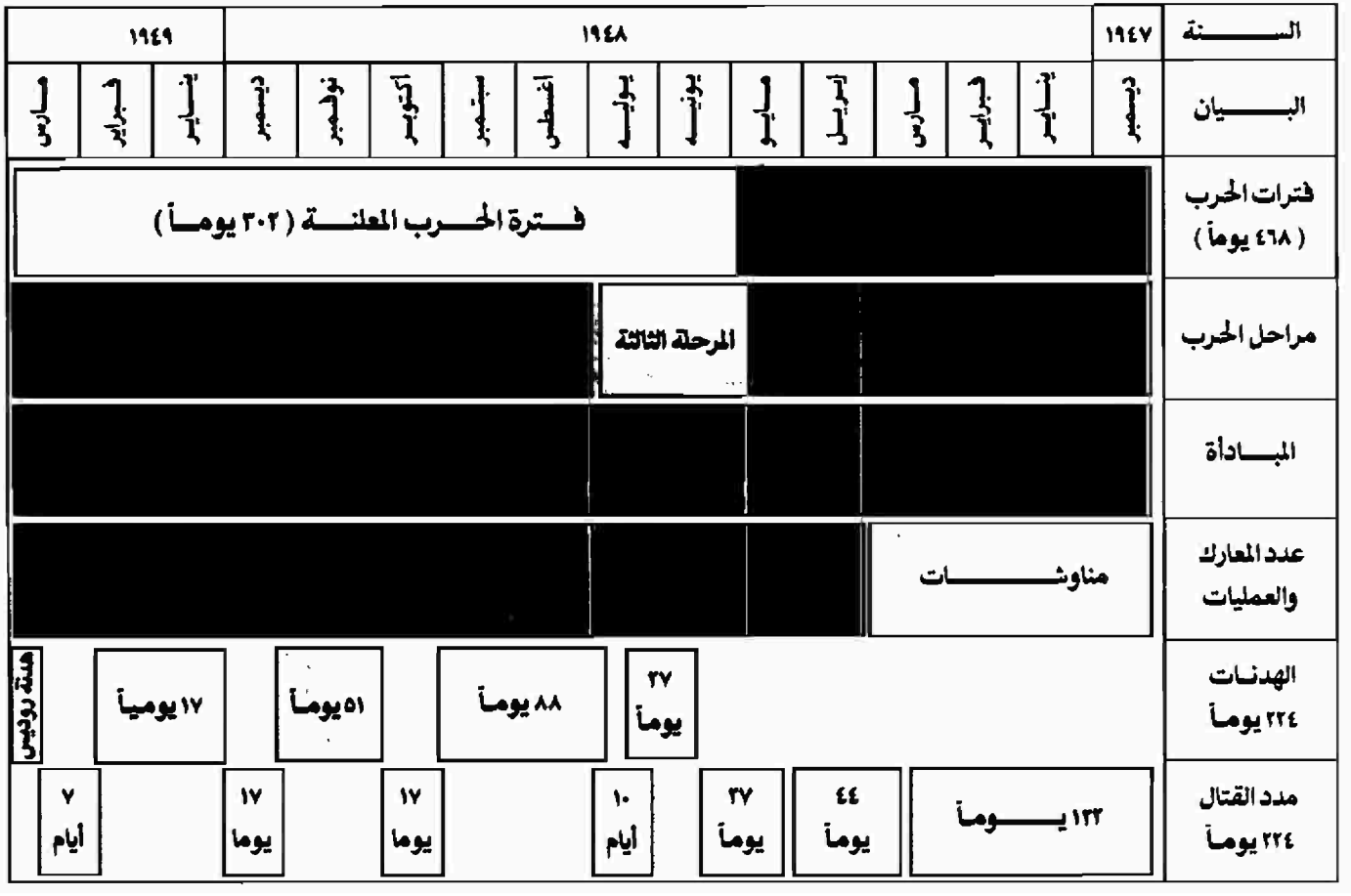

الزحف إلى بيت المقدس ١٩٤٨

هدف القوات الإسرائيلية

الملك فاروق فى زيارة جبهة القتال فى فلسطين

وعن يمينه اللواء أحمد على المواوى

قائد الحملة

عرفات فى جبهة القتال بالقنطرة غرب ١٩٧٠ وحلمه نحو القدس

الضبع الأسود فى الفالوجا

ديسمبر ١٩٤٨

ملحق (أ)

الفريق عزيز علي المصرى

(الجندى الذى سبق عصره)

كان عزيز المصرى المثل الذى
حرص أن يحتذى به كل أفراد
القوات المسلحة المصرية من
جيل الأربعينيات الذين
عاصروه مفتشًا عامًا للجيش ،
ورئيسًا لهيئة أركان الحرب

كانت حياة الفريق عزيز المصرى التى امتدت زهاء ٨٥ عامًا حافلة بالأحداث . وقد ولد عام ١٨٨٠ فى بيت ذى حديقة غناء قرب ميدان العتبة بقلب القاهرة لأب مصرى وأم شركسية . وأسماه أبوه باسم الخليفة العثمانى تيمنًا به ، وتنسب عائلة أبيه إلى قبيلة شاه بلو (نور الله) القوقازية .

وأظهر عزيز الطفل نجابة غير عادية فى دراسته الابتدائية والثانوية ، وكان من أوائل البكالوريا عام ١٩٠٦ . فلما أراد الالتحاق بالمدرسة الحربية بالعباسية ليصبح ضابطًا يكرس حياته فى مناضلة المحتل الإنجليزى ، رفضته المدرسة لقصر قامته .

وبنفوذ أقارب والدته فى اسطنبول أمكن أن يدبروا له مكانًا فى مدرستها الحربية وساعده اتقانه اللغة التركية فى أن يتخرجً منها على رأس دفعته التى أظهر خلالها شغفًا بدراسة التاريخ العسكرى وفنون القتال بالقدر الذى لفت إليه الانظار . كما أجاد اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية حديثًا وكتابة .

واكتسب خلال وجوده بالمدرسة الحربية صداقة كثيرين ممن أصبحوا زعماء تركيا

الحديثة ، وقادة الثورات التى اشتعلت فى بلدان الوطن العربى ، فى الربع الأول من القرن العشرين .

وكانت أولى المعارك التى خاضها فى الجبل الأسود حيث حقّق نصرًا على حركة التمرد ضد الحكم العثمانى ، التى كانت تؤازرها الامبراطورية الروسية ، وتمدها بالميرة والذخيرة .

وما إن عاد إلى اسطنبول على رأس قواته الظافرة ، حتى شارك الشعب فى مطالبته السلطان عبد الحميد بالدستور حتى اضطر إلى إصداره يوم ٢٤ يوليو ١٩٠٨ . ولما نقض السلطان وعده والغى الدستور هبّ الجيش الثالث بإيعاز من عزيز المصرى ، وتحرك من سالونيك إلى العاصمة حيث احتل الثكنات المحيطة بقصر يلدز ، إلى أن تم عزل عبد الحميد وتوليه أخيه محمد رشاد الخامس عرش السلطنة .

وفى عام ١٩١١ أرسلت إيطاليا جيوشها لغزو ليبيا فكان عزيز على رأس المتطوعين الذين سارعوا لنجدة الأمير السنوسى مع أنور وجعفر ومصطفى كمال من الاتراك ، وعبد الرحمن عزام وصالح حرب وحافظ عفيفى من مصر .

ونظرًا لكفاءة عزيز فقد تولى قيادة تلك المجموعة ، فنجح فى تنظيم صفوف المجاهدين الليبيين ، وألهب حماسهم حتى نجحوا فى محاصرة القوات الإيطالية ومنعوها من التوغل داخل البلاد .

ثم حقق عزيز نصرًا كبيرًا على الجيش الإيطالى في ليبيا يوم ١٦ يونيو عام ١٩١٣ تناولته صحافة العالم بالشرح ، وقارنته بإنتصار هانيبال القرطاجنى على الرومان فى معركة كانـاى الشهيرة يوم ٢ أغسطس عام ٢١٦ قبل الميلاد .

وبقيام الإمام يحيى حميد الدين بثورته لتحقيق الاستقلال عن الدولة العثمانية ، ثم انتصاره على الجيش العثمانى فى معركة جيزان التى أنزل فيها خسائر فادحة بالجنود الأتراك . . بادرت الاستانة بإرسال عزيز المصرى لإنقاذ الموقف حيث نجح فى عقد معاهدة مع الإمام ، أقر فيها بسيادته على صنعاء فانتهزها خصمه اللدود أنور باشا فرصه ليلصق به تهمة الخيانة العظمى ويصدر ضده حكمًا عسكريًا بالإعدام .

كان دافع أنور باشا هو القضاء على عزيز بوصفه زعيم الحركة القحطانية التى تعمل على استقلال البلاد العربية ، فكان رد فعل عزيز هو تقديم استقالته من الجيش العثمانى .

وظل أنور باشا يتربص به حتى تمكّن من القبض عليه يوم ٩ فبراير ١٩١٤ فما كاد الخبر ينتشر باسطنبول حتى تجمهر الضباط العرب وضغطوا على أنور وطلعت وجمال - الثلاثى الذى كان يحكم تركيا فعلاً - حتى أجبروهم على إطلاق سراحه يوم ١٥ ابريل ، مع تخفيف حكم الإعدام إلى السجن ١٥ سنة .

ولمّا لم تقبل جماهير مصر وليبيا والسودان واليمن ذلك الحكم ، اشتعلت القلاقل بتلك البلاد حتى اضطرت الأستانة إلى إلغائه يوم ٢١ ابريل شريطة أن يغادر عزيز تركيا فى اليوم التالى مباشرة فلا يعود إليها أبدًا .

واشتعلت الحرب العالمية الأولى فراح البريطانيون يحضون الشريف حسين حاكم الحجاز بالثورة على السلطان الذى انحاز بجيوشه إلى جانب الألمان ، وكان ابنه الأمير فيصل قد انضم إلى جمعية العهد التى أنشأها عزيز المصرى فى البلدان العربية ، للعمل على استقلالها فنصح عزيز فيصلا ألاّ يتورّط مع الانجليز فى اتفاق ، قبل أن يأخذ منهم عهدًا صريحًا باستقلال كل البلاد العربية بعد الحرب .

وعندما شعر عزيز بالمماطلة التى يبديها المعتمد البريطانى بالقاهرة ، تحول إلى أمير نجد عبد العزيز بن سعود الذى وثق فى أنه لن تجوز عليه خديعة الإنجليز ، كما أنه لايخدع أحدًا .

وعزل الإنجليز الخديوى عباس حلمى الثانى يوم ٢١ ديسمبر ١٩١٥ ، ثم سيروا حملتهم الثانية الفاشلة لفتح مصر بقيادة جمال باشا السفاح فى أغسطس ١٩١٦ ، وكان الشريف حسين قد أعلن الثورة العربية يوم ١٠ يونيو ١٩١٦ ، ودفع جيشه بقيادة ابنه فيصل وضابط المخابرات البريطانى الشهير لورنس لمعاونة الجنرال اللنبى فى غزو فلسطين والشام بالزحف على جانبه الأيمن .

وحاول الإنجليز استمالة عزيز المصرى بالقاهرة ، كما عرض عليه بعض العرب قيادة جيش الشريف حسين فتوجه إلى الحجاز لدراسة الموقف ، فلما اجتمع بالأمير فيصل ومستشاره لورنس أحسّ بالخديعة التى تدبّرها بريطانيا للعرب ، فراح يجمع كلمة الضباط العرب ويدرّب الجيش بمنطقة رابغ ، ويبث فيه المشاعر الوطنية وحب الاستقلال .

وتطوّع أحد مرؤوسيه ، نورى السعيد ، بنقل خطب عزيز الملتهبة الوطنية إلى الإنجليز فعملوا على التخلّص منه فى أسرع وقت ، فكان أن أوعزوا إلى الشريف حسين بإيفاده إلى

مصر تحت زعم اختيار الأسلحة اللازمة للجيش ، فما كاد يصل إلى السويس حتى أخطروه بعدم العودة ، وبأنهم يعرضون عليه قيادة جيش الإمام يحيى فى اليمن ضد الاتراك . فلما رفض خيروه بالمكان الذى يفضله كمنفى فاختار إسبانيا .

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى دعته ألمانيا للعمل أستاذًا فى كلية الأركان لسعة إطلاعه وتمكنّه من الفن العسكرى ومعارك التاريخ الكبرى . ولمّا تكشفت معاهدة سايكس بيكو ووعد بالفور . . توجه عزيز إلى العراق يبحث عن مخرج من تلك المحنة التى وقع فيها العرب نتيجة ثقتهم بوعود بريطانيا وفرنسا ساعة الحاجة إلى المساعدة العربية ، وتزوج هناك من سيدة أمريكية أنجب منها ابنه الوحيد عمر .

ورغم وجود أصدقائه من أمثال ياسين الهاشمى وأخيه طه وجميل المدفعى وحكمت سليمان وجعفر العسكرى الذى خلفه فى قيادة الجيش الهاشمى بالحجاز ، وتوليهم السلطة فى بغداد فإن الإنجليز أغلقوا فى وجهه كل المنافذ ، فعاد إلى مصر حيث صدر فى عام ١٩٢٨ مرسومًا ملكيا بتعيينه مديرًا لمدرسة البوليس ، التى قفز بمناهجها وأصول التربية الإخلاقية لطلبتها فى خطوات واسعة .

وعندما قرر الملك فؤاد إيفاد إبنه فاروق إلى بريطانيا ليستكمل تعليمه عيَّن الأميرالاى عزيز المصرى رائدًا له ، فأشرف على تنشئة الأمير نشأة صالحة ، لولا تدخل الحاشية التى كانت شديدة الحرص على هدم كل ما يبنيه .

وبوفاة الملك فؤاد عاد فاروق إلى مصر وفى نفسه شىء من عزيز ، إلاّ أن تولى على ماهر رئاسة الوزارة أتاح له فرصة تعيينه مفتشًا عامًا للجيش المصرى فى أغسطس ١٩٣٩ ، فهجر مكتبة بوزارة الحربية وراح يعمل وسط الجنود ، ويطوف بمعسكراتهم فى أطراف البلاد النائية .

وفى زيارة الملك لمرسى مطروح بعد اشتعال الحرب العالمية الثانية . . حضر مؤتمرًا حربيًا للجنرال ويلسون الذى راح يؤكد على أن مرسى مطروح قد تحولت إلى قلعة حربية يستحيل اختراقها ، فارتفع صوت عزيز المصرى ينصح بتجهيز منطقة العلمين بالدفاعات المحصنّة ، حيث ينتظر أن تحدث عندها الوقفة الأخيرة فى الدفاع عن مصر من الغرب ، الأمر الذى تحقق بعد ذلك بثلاثة أعوام .

ولم يكن المندوب السامى البريطانى ليترك عزيز المصرى فى منصب رئيس هيئة الأركان الذى تولاه عام ١٩٤٠ ، ولهذا فما كاد الملك يعين حسين سرى باشا المماليّ للإنجليز رئيساً للوزارة ، حتى عزل عزيز وحدد إقامته .

وقرر عزيز أن يهرب من مصر إلى تركيا أو ليبيا ، فلما جاءت ثورة رشيد عالى فى العراق عزم على التوجه إلى مقر قيادة المارشال روميل ، الذى كان قد اتصل به عن طريق بعض الأعوان (منهم أنور السادات - من كتاب حياتى بين السيف والقلم ، للسيد حامد فرج - المراجع) بالقاهرة ليعاونه فى دحر البريطانيين فى صحراء مصر .

وتم الاتفاق على اختطافه من منطقة جبل رزّه على طريق الواحات البحرية ، إلاّ أن القدر شاء أن تتعطل السيارة التى أقلته قرب أهرام الجيزة . ولما تكررت المحاولة بطائرة مصرية سقطت قرب بنها نتيجة خطأ الطيار الذى أقفل محبس زيت التزييت بدلاً من فتحه فاحترق المحرك .

وبعد الاختفاء فى أحد المنازل بإمبابه قرابة ثلاثة شهور ، قبضت عليه الشرطة وبدأت محاكمته يوم ٩ أكتوبر ١٩٤١ ، فلما شعر الإنجليز بالتهاب المشاعر المصرية ضد هذه المحاكمة أوقفوها فجأة وتركوه فى السجن ، حتى أفرج عنه مصطفى النحاس باشا بعد توليه رئاسة الوزارة فى فبراير ١٩٤٢ .

إلاّ أن هزيمة الجيش البريطانى فى معركة الغزالة فى يونيو ١٩٤٢ ، ووصول جيش روميل إلى العلمين فى يوليو جعل البريطانيون يضغطون على الحكومة المصرية ضغطاً هائلاً لإعادة اعتقال عزيز يوم ١٣ اغسطس ، حيث ظل فى السجن ٢٧ شهراً قبل أن يفرج عنه فى نوفمبر ١٩٤٤ ، شريطة ألاّ يغادر منزله بعين شمس . ولم يكن هذا الحجز القاسى يضيره إذ كان قد تفرّغ تماماً للعبادة والقراءة ، وكلما سأله ابنه من الولايات المتحدة عما يطلب ، طلب أن إليه يرسل آخر ما صدر من المطبعة الأمريكية من كتب عسكرية .

ومن هذا البيت ظلت أفكار الوطنية تنطلق فى كل اتجاه ، داعية العرب إلى الحركة والبذل والعطاء . وعندما سقط الدكتور أحمد ماهر قتيلاً فى إحدى ردهات البرلمان فى فبراير ١٩٤٥ كان عزيز أول المعتقلين إلاّ أن التحقيق أثبت ألاّ دخل له بالحادث فأفرج عنه على مضض .

ثم قبض عليه مرّة أخرى بعد مقتل أمين عثمان باشا يوم ٥ يناير ١٩٤٦ ، فلما تأكد

المحقق أن عزيز المصرى لاينتهج مثل هذا الأسلوب فى التعامل مع أعداء الوطن ، أفرج عنه للمرة الثالثة .

وكانت آخر مرة يقبض فيها على عزيز بعد مقتل محمود فهمى النقراشى يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، حيث ظهر أنه لادخل له أيضًا بهذا الحادث فأفرج عنه .

وقامت حرب فلسطين فاتجهت أنظار المناضلين إلى قائدهم المحبوب عزيز المصرى فجاءة فوزى القاوقجى ، قائد جيش الانقاذ يلتمس النصيحة ، فبدأ العمل الجاد لتنظيم وتدريب وإدارة العمليات الفدائية ضد عصابات الهاجاناه والأرجون ، واستجاب البطل الشهيد أحمد عبد العزيز للنداء ، فأرسله عزيز على رأس قوة المتطوعين المصريين للقتال فى منطقة بيت لحم بكتائب الأخوان المسلمين ومصر الفتاه التى أبلت هناك خير البلاء .

وأعلن عزيز المصرى أن نكبة فلسطين ثمرة طبيعية للفساد الداخلى والمؤامرات البريطانية ، وأنَّه لاسبيل للنجاح إلاّ بطرد المستعمر من القناة ، وتطهير الحكم من أدرانه . وهكذا بدأت المقاومة الأهلية ضد جيش الاحتلال بمنطقة القناة ، كما بدأت تحركات الضباط الأحرار التى قامت بثورة يوليو ١٩٥٢ بإرشاد وقيادة أبويه من عزيز المصرى .

ونظرًا لانهماكه فى كلا المجالين فقد اعتذر فى اكتوبر ١٩٥١ عن تلبية عرض كريم من حكومة الباكستان لتولى تكوين وقيادة قواتها المسلحة ، بوصفه أكبر خبير عسكرى مسلم فى الشرق الأوسط .

وبقيام الثورة اعتبرت عزيز المصرى أباها الروحى ، وعرضت عليه منصب رئيس الجمهورية فامتنع لتقدم العمر به ، فلما ألحّت عليه فى قبول منصب سفير مصر فى موسكو ليدفع العلاقات بين البلدين ، بما يضمن تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية والمطالب العسكرية من تلك القوة العظمى ، قبل عن طيب خاطر .

ووجد عزيز فى موسكو تقديرًا عظيمًا لشخصه الاّ أن جليد روسيا لم يناسب صحته ، فعاد إلى مصر حيث عاش عيشة هادئة فى منزله بعين شمس وعلى معاش ٧٩ جنيهًا ، الذى كان إسماعيل صدقى باشا قد قرره له عام ١٩٤٦ . ولما رفع معاش الفريق بالجيش المصرى إلى ٢٠٠ جنيه شهريًا لم يفكر أحد بتطبيقه على عزيز ، كما ترفّع هو عن أن يطالب بحقّه .

وكان هو الذى أشار بسحب القوات المصرية من مصيدة سيناء ، إبأن العدوان الثلاثى على مصر بهدف توحيد جبهة القتال فى غرب قناة السويس كنص تعبيره .

وفى عصر الثلاثاء ١٥ يونيو ١٩٦٥ آن للروح الثائرة أن تهجع وأن تبدأ رحلتها إلى الرفيق الأعلى . . أسكن الله عبد العزيز على المصرى فسيح جناته مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا .

ملحق (ب)

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

القائمقام عباس عبد الحميد [سورة الأحزاب ٢٣]

قائد كتيبة الخدمات العامة عام ١٩٤٢ ، كان يصل إلى بوابة الكتيبة فى سعت ٠٧٤٥ يوميا ، وبعد أن يؤدى حرس البوابة تحية القائد ينزل من سيارته العسكرية الفارجو ويفتش على الحرس وغرفة الحرس وسلاح الحرس وحتى البروجى ، ثم يدخل إلى غرفة سجن الوحدة حيث يفتش على المساجين والمنتظرين للمحاكمة أو الترحيل للسجن الحربى ، وهم عرايا حيث يفتش على أجسامهم ثم ينتقى فانلة أو أكثر ليتأكد أنها نظيفة وياويل من يكون قد علقت بملابسه أو جسده أية أوساخ فنتيجته ٥ جلدات فورًا ، ثم يمر على حملة الكتيبة حيث يصطف السائقون ، كل أمام سيارته ويجرى التفتيش على دورة الوقود ودورة الزيت ودورة المياه ونظافة السيارة الخارجية والداخلية ، وبعدها يمر على خيام مبيت الجنود ويتأكد من أن البطاطين تأخذ قسطا كبيرًا من أشعة الشمس ، مع نظافة الخيام وانتظام أسرَّة الجنود الخشبية ونظافتها ، ويمر على دورات المياه والحمامات ويتأكد من نظافتها ، ثم مطبخ الوحدة حيث يتأكد من تمام صرف تعيين الصباح والشاى ونظافة الأوانى ، واستعداد الطباخين لتجهيز وجبة الغذاء . وهنا نقطة مهمة تعلمناها منه ، وهى معدل اللحوم بالنسبة للعظم وعدد قطع اللحم وهل تكفى كل فرد له حق التعيين أم لا ، ويفتش عليها قبل الطهى وبعد الطهى ويتذوقها . والحقيقة أن طعام الجنود كان ينال عناية فائقة من القائد ، وكان يصل إلى الجنود بدرجة ممتازة من النظافة والطهى والكمية والطعم . .

تعلمنا منه الإنضباط المبنى على الحسم ، مع العدل والرحمة والمعاقبة الفورية للمسىء ، والجائزة الفورية للممتاز من الضباط والصف والجنود .

وابتكر وسيلة رائعة لحل مشاكل الوحدة ومشاكل ضباطها وجنودها من منبعها ، فحدّد كل يوم خميس إفطارًا مجمعًا لضباط الكتيبة مع نخبة من القادة الكبار والمسئولين فى الجيش من رئيس أركان الجيش المصرى ورئيس الإدارة العسكرية ورؤساء أفرع رئاسة الأركان وكل من له سلطة حل مشكلة ، يختار منهم ثلاثة أو أربعة فقط كل أسبوع على طبق اشتهر به

وهو طبق العاشوراء المملوء بالمكسرات ، وبكميات كبيرة وعلى نفقته الخاصة . وكنا بالطبع ننتظر يوم الخميس أسبوعيا بلهفة لتناول طبق العاشوراء وحل مشاكل الوحدة فوراً

كان قائداً قوياً أميناً صادق الوعد مهاب الطلعة طيب القلب شديد البأس ، رحمه الله فقد تعلمنا منه كيف نحل مشاكل الرجال ، وكيف نحصل على محبتهم ، وكيف نمحو عامل المسافة التى اتسعت رقعتها فيما بعد بين الضابط والجندى فكانت الهزائم !!

ملحق (ج)

تحت مظلة الإيمان فى بلاد الفرنجة

فـى البـحرالمتوسط كـانت الباخرة الملك فـؤاد تمخر بنا البـحر فى الطريق إلـى ميناء مرسيلـيا ، حيث كانت وجهـتنا بريطانيا لـندرس فى مدرسة المشاه البـريطانية فنـون القتال وتكتيكاته كقـادة للسرايا المشاه . وفى يـوم الخميس ١١ اكتوبر ١٩٥١ اقتربت السفـينة من شاطئ إيطالـيا وسمعنا أن الانجليـز أنذروا الحكومة المصرية وتـساءلنا هـل يا تـرى ستلغى البعثة ، ونحن مازلنا فى عرض البحر . . وصلنا لـندن بعد اجتياز فرنسا بالسكة الحديد من ميناء مرسـيليا ، وتوجهنا إلى بـلد تسمى WARMINSTER حيث توجد بهـا مدرسة المشاه وعدّة معسكرات إنجليزية . . . ولما اكتمل عدد ضبـاط الفرقة زاد اضطرابنا نفسيا ، فقد كانوا يتحدثـون مع بعضهم البعـض ناظرين إلينا مـنهم البريطانـى ومنهم الأسكتلنـدى والهندى واليهودى . . نظراتهم كأننا أعداء لهم ومعهم جرائد متنوعه يقرأون فيها أخباراً عن مصر ، وما بها من أحداث . وفى ليلة من ليالى أكتوبر ، وبالذات يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٥١ أقامـــوا حفلاً فـــــى ميس المدرسة سموه Guest - Night واجلسونى وزميلـى اليوزباشى حسن عليش فى مكان الصداره ورفعوا الكؤوس تحية لملك انجلترا ثم لملك مصر ، ورفعت كوب ماء مجاملة لهم ولكـنهم اشمأزوا وتهامسوا واعتذرت لهم بأنى لا أشـرب الخمر وأن ديننا يحرم شـرب الخمر ، وكانت نظراتهم لـنا غير مطمئنـة . . . . ومرت الأيام وفى يوم ١١ نوفمبر ١٩٥١ قرأنا فى الـصحف اللندنيـة عناوين مثيرة عـن مصر وعن الإرهاب فيهـا ضد القوات البريطانية فى قـناة السويس ، وأن تهديدات وصلت إلى زوجات العامـلين الإنجليز فى مصر تحث أزواجهم على مغادرتها وإلاّ ستكون نهايتهم الإلقاء بالبحر بالأكفان .

British wives of Servicemen in The canal Jone have been warned by terrorists to influence their husbands to leave or we will ship them out in coffins

كما علّقت الصحف على يوم الصراع الوطنى فى مصر

Egypt's National struggle Day

Ismailia on tuesday

وتلبد جـو الفرقة وجو العلاقـة مع زملاء البعثة ، وتـغيرت النظرات إلى حـقد أعمق ومشاعر شك كبير وكنت أدعو الله فى صلاتـى أمامهم ، وفى ركن من أركان غرفة المعيشة أن يحمينا ويرعانا ويحفظ مصر ويحقق جلاء المستعمر عنها يا رب .

وفى يوم ٧ ديـسمبر ١٩٥١ قرأت في جريدة التايمز الـلندنية أن عبد الفتـاح باشا حسن قرر إلغاء الـبعثات فى انجلتـرا وعودتها بسرعة إلـى مصر ففرحت وحزنـت : فرحت لأنى سأعود إلى الوطن ، وحزنت لأن الفرقة ستلغـى قبل أن تستكمل ، ولم تبق إلاّ عشرة أيام على نهايتها ولكن هذه إرادة الله . . والحمد لله . .